طوفان الأقصى في الأدب والإعلام

محمد كرد علي وخطط الشام

قنيطرة ٧٤ بين فصاحة الألم وفداحة الصمت

الأسبوع الأدبي

www.awu.sy

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق — 12 صفحة

العدد: «1847» الأحد 2023/12/17م - 4 جمادى الآخرة 1445هـ — 200 ل.س

لوحة للفنان التشكيلي د. محمد غنوم

لوحة للفنانة التشكيلية فداء منصور

الافتتاحية

كتبها: د. محمد الحوراني

حـربٌ غـزّة... تَمسُّكٌ بالحقِّ وتعريةٌ للديمقراطيّاتِ المُزيَّفَة

على الرَّغم من استخدامه أعتى أنواع الأسلحة في حربه على الشَّعب الفلسطينيّ، لا تزالُ فرائصُ كيان الاحتلال الصَهيونيّ ترتعدُ خوفاً من أبناء هذا الشعب الأبيّ ومن كُلِّ مُناصرٍ وداعمٍ لهُ في كفاحه لاستعادة حقوقه المُغتصَبة، بل إنّ هذا المُحتلَّ الجبانَ غدا أكثرَ توحُّشاً وإجراماً في حربه ضدَّ الشعب الفلسطينيّ بعد حملات التَّضامُن الغربيّة والعالميّة مع أبناء فلسطين، وهي حملاتٌ لم تقتصرْ على دُوَل عُرفَتْ تاريخيّاً بدعمها لعدالة القضيّة الفلسطينيّة، إنّما تجاوَزَتْها لتصلَ إلى عقر دار مراكز القُوى والدَّعم للكيان الصهيونيّ، ويظهرُ هذا جليّاً في الدعم الكبير الذي تحظى به القضيّةُ الفلسطينيّةُ في صفوف طلبة الجامعات في الولايات المُتّحدة الأميركيّة، وفي وسائل التواصُل الاجتماعيّ فيها، وهذا ما دفعَ الحكومةَ الأميركيّةَ إلى التهديد باتّخاذ عقوبات وإجراءات مُشدَّدة بحقِّ هؤلاء الطَّلَبَة.

هذا الدَّعمُ للقضيّة الفلسطينيّة، والتَّضامُنُ معها، والمُطالبةُ بوقف الحرب الإرهابيّة على أطفال فلسطين ونسائها، كانَ كُلُّ ذلكَ حاضراً بقُوّة لدى أطفال المدارس في بريطانيا أيضاً، إذ اعتصمَ طُلّابُ المدارس هُناكَ، مُطالبينَ بوضع حدٍّ للمجازر التي يرتكبُها الكيانُ الصهيونيّ بحقِّ أشقّائهم في فلسطين، وهو ما يعني أنّ هذه القضيّة لا يُمكنُ أن تموتَ، بل إنّها تنتقلُ من جيل إلى جيل، ومن طفل إلى طفل، تماماً كما صوَّرَتْها روايةُ "الطنطوريّة" للراحلة رضوى عاشور، إذْ تحدَّثتْ بألم كبير عن المجازر التي ارتكبَها الاحتلالُ الصهيونيُّ في الطنطورة، مُحاولاً بها القضاءَ على الكبار وجَعْلَ الصِّغار يَنْسَونَ قضيّتَهم وأرضَهم بعد تشريدهم هُنا وهُناك بعيداً عن أرض فلسطين التي تغلغلَ عشقُها في شرايين الأبناء والأحفاد من الرِّجال الذينَ صَدَقُوا ما عاهدُوا الدِّماءَ عليه، ولهذا لمّا شاخَتْ "رُقيّةُ الطنطوريّةُ" أتتْ رُقيّةُ الصَّغيرةُ مُعْلنةً بَدْءَ الرِّحلة من فلسطينَ وإليها، كيفَ لا، وهي الساكنةُ تفاصيلَها كُلَّها، ببَحْرِها وسَهْلِها، ببُرتقالها وزيتها، بزعترها وطيّونها، في رُوحها وقلبها وجوارحها كُلِّها؟!

إنّهُ بهاءُ الحُضور الباذخ لفلسطينَ وألَقُهُ لدى أطفال العالم وشبابه الذينَ آثَرُوا الانحيازَ إلى عدالة القضيّة ودَعْم أهلها، كما هو اليقينُ بالنَّصر والثبات على العَهد والوَعد لدى أطفال فلسطينَ وشبابها ونسائها ورجالها في مُواجَهتهم أصنافَ الإجرام الصّهيونيّ كافّةً في حرب الإبادة التي يتعرّضُونَ لها على مرأى العالم "المُتحضّر" ومَسْمَعه، هذا العالم الداعم للكيان الصهيونيّ المُحتلّ.

لقد أسْهَمَت الحربُ الأخيرةُ التي يشنُّها الكيانُ الصهيونيُّ على أهلنا في غزّة خاصةً، وعلى فلسطينَ عامّةً، في تعزيز حُضور القضيّة الفلسطينيّة لدى الأطفال والشّباب في الغرب، كما أسْهَمَتْ في تغيير الصُّورَة المُلفّقة التي اشتغلَ الإعلامُ الغربيُّ والسَّرديّاتُ الصهيونيّةُ والغربيّةُ المُزيَّفةُ على تكريسها زمناً طويلاً في أذهان النّاشئة، كما أنّ هذه الحربَ أثبتَتْ هشاشةَ الديمقراطيّة الغربيّة وخوفَها الكبيرَ من الرّأي الآخَر، ولا سيّما حينَ يتعلّقُ الأمرُ بالقضيّة الفلسطينيّة ومُحاولات كَشْف حقيقة عُنْصُريَّة الكيان وإجرامه، ولهذا فلا غرابةَ في أن تُوقفَ دارُ "فايار" الفرنسيّةُ للطّباعة والنَّشْر بَيْعَ كتاب "التَّطهيرِ العرقيّ في فلسطين" لأحد أهمِّ المُؤرِّخينَ الجُدُد لمَا بعدَ الصهيونيّة الأكاديميّ "إيلانَ بابيه" لانتقاداته المُتكرِّرة للجرائم الصهيونيّة بحقِّ الشعب الفلسطينيّ، ورَفْضه ونَقْضه الرِّوايةَ الصهيونيّةَ عن أرض الميعَاد، ولا غرابةَ أيضاً في أن يُغيِّرَ مالكُ منصّة (X) «إيلون ماسك» من سَياسته في النَّشْر بعدَ زيارته الأخيرة لفلسطينَ المُحتلّة ولقائه قادةَ الاحتلال، وهو ما أدّى إلى تراجُع واضح وإخفاء للمنشورات الداعمة لفلسطينَ والمُنَدِّدة بجرائم الاحتلال، وهذا ما يُؤكِّدُ السَّيطرةَ الصهيونيّةَ على الإعلام الغربيّ بأشكاله كافّةً وتحكُّمَها المُطلَق به.

أخيراً، بقيَ أن أقولَ: إذا كانَ اعتراضُ طالب لا يَتجاوزُ الثالثةَ عَشرةَ من عُمره في ولاية جورجيا الأميركيّة على إحضار أستاذه العَلَمَ الصّهيونيَّ إلى الفصل جَعَلَ أستاذَهُ اليهوديَّ "بنجامين ريس" يُهدِّدُهُ بقطْع رأسه، فماذا عسى الولاياتُ المُتحدّةُ الأميركيّةُ أنْ تَفْعَلَ بمَنْ يدعمُ القضيّةَ الفلسطينيّةَ وقُوى المُقاوَمَة فيها؟! ومَنْ قالَ إنّ التَّهديدَ والوعيدَ الصّهيونيَّ والغربيَّ لن يَجْعَلا أبناءَ المُقاوَمَة وداعميها أكثرَ تَمسُّكاً بالثوابت والمبادئ الّتي لا يُمكنُ التَّنازُلُ عنها أو المُساوَمَةُ عليها؟

طوفان الأقصى في الأدب والإعلام

كتبت: د. ريما الدياب

لم تكن معركة طوفان الأقصى مرحلة عابرة في تاريخنا، بل هي حرب استطاعت التأكيد أن تاريخ الأمة العربية تاريخ بطولي، وشعب المقاومة شعب لا يستكين ولا يقبل الذل والهوان، فاستطاعت هذه العملية إحياء الأمل لاسترداد أرضنا الحبيبة، فهي معركة أحيت بطولات المقاومة الفلسطينية، وأحيت انتصاراتنا في حرب تشرين التحريرية وانتصار المقاومة في جنوب لبنان.

فهو عمل غير مسبوق، ويأتي في أعقاب انتهاكات الاحتلال المتكررة وخاصة في الأقصى المبارك، وهذه الحرب حملت رسالة ضمنية نسفت كامل المشروع الذي أراد رسمه الاحتلال من خلال صناعة اليأس وتركيع الشعوب العربية الإسلامية.

وقد كشفت الحرب التي شنها الاحتلال الصهيوني على قطاع غزة، والتي لا تزال مستمرة بوحشية لا مثيل لها مستهدفة كل أراضي فلسطين المقدسة، وفي غزة على وجه خاص، دون تمييز بين الأطفال وكبار السن.

الازدواجية في معايير التعامل الدولي مع مثل هذه القضية، إذ ظهرت وسائل الإعلام التي ضربت كل القوانين والأعراف الدولية، واتسمت بالانحياز الصريح من وسائل الإعلام الغربية للرواية الصهيونية، بشكل يخرج عن قواعد الأخلاق والأسس المهنية للعمل الإعلامي، إذ إن التغطية الإعلامية التي تقوم بها وسائل الإعلام الغربية والتي تهمين على وسائل الصحافة والإعلام ووكالات الأنباء الكبرى يلاحظ انحيازها واعتمادها على الرواية الإسرائيلية- الصهيونية التي قلبت الحقائق وبالغت في الكذب وفي تنظيم انتهاك وحرق المشافي والمباني التي يقطنها المدنيون، وبذلك عمدت إلى قلب الحقائق من قبل رجال الصحافة والإعلام الغربي الذي ربط المقاومة بالإرهاب، إذ إن الدول الغربية وأمريكا ساندت الحرب التي شنتها إسرائيل وبذلك تنحت عن كل القيم والمبادئ الإنسانية، إذ عدت ما تقوم به المقاومة إرهاباً، وتناست أن حق الشعب المقهور الدفاع عن أرضه، ومن هنا كان للإعلام الدور الأبرز في هذه الحرب إذ بدا الإعلام أيضاً في حالة حرب سواء حرب السرديات، أم حرب الخطاب، ومن المفترض أن تكون التغطية لمعركة طوفان الأقصى تغطية حقيقية، من خلال تغطية المستجدات الميدانية والسياسية والإنسانية للقضية الفلسطينية، وتدعم سرديات مقاومة الاحتلال وفضح جرائمه وانتهاكاته لحق الفلسطينيين، إلا أننا شاهدنا وسائل عدة للإعلام كان أبرزها إعلام المقاومة وهذا الإعلام واجه الحرب أيضاً مع وسائل الإعلام الصهيونية، إذ كان يدعم حركات المقاومة ويسهم في نقل الحدث الأدق عن معاناة الشعب في غزة، وعما فعله الأبطال مع العدو، إلا أن وسائل الإعلام الصهيونية حاولت تسكيت تلك القنوات بما تعده إسرائيل والدول المحالفة لها أن هذه تنظيمات إرهابية لا حق لها في الوجود أصلاً، ونجد الإعلام الداعم للمقاومة الذي ندد بجرائم الاحتلال كموقف سورية الذي عدّ هذا الإنجاز المشرف يثبت أن الطريق الوحيد لنيل الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني هو المقاومة بكل أشكالها، كما أكد حزب الله أن هذه العملية هي رد على جرائم الاحتلال والتعدي المتواصل على المقدسات والكرامات، وقام هذا الإعلام بتغطية للمعركة ووجّه خطابه لدعم القضية الفلسطينية، على حين ظهر الإعلام العربي المطبع الذي عمد إلى الانخراط في مسار التطبيع والتفريط في حق الشعب الفلسطيني لقاء ثمن معين، فكان هذا الإعلام يتعامل مع القضية الفلسطينية كأي منطقة في العالم، أما الإعلام الغربي فقد عمد إلى قلب الحقائق والمبالغة والكذب والتزييف، وإنحاز إلى جانب القضية الإسرائيلية، فابتعد عن الصدق والمهنية الإعلامية وتجنب الوقائع.

ومن خلال الوعي والحقائق التي باتت مثبتة أمام أعين الجميع، لا بدّ من توعية جيل الشباب ودور الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي في تكوين الرأي العام، وضرورة تعرية الإعلام الغربي الذي يحاول نقل معلومات وصور خاطئة عن معركة طوفان الأقصى بقلب الحقائق وتسويغ المجزرة التي ارتكبتها آلة الحرب الإسرائيلية.

وفي زمن الصرعات والحروب نتساءل هل الواقع السياسي وانعدام الاستقرار يؤثر في الأدب؟ وهل الأدب يتأثر بمرحلة التأريخ؟

الأدب يمتح من الحياة ولها يعطي، ولا تنفصل بأي حال من الأحوال الثقافة عن السياسة لأنها نتاج التجربة الإنسانية ولا شك أننا في زمن الحرب نحتاج إلى توثيق الأحداث والانتقال من الصور الساكنة إلى صور مؤرخة برؤية مستقبلية، ومن هنا نجد أن معركة طوفان الأقصى ما هي إلا إعادة القضية الفلسطينية إلى الصدارة بكل ما فيها من تفاصيل دقيقة تثير الشجون والمشاعر، وفي الحقيقة إن القضية الفلسطينية شكلت وما زالت تشكل محوراً مهماً في وجدان كل كاتب وشاعر عربي، وأثبت الأدب بشكل عام الدور البارز في دعم القضية الفلسطينية وسط الظروف القاسية التي يعيشها الشعب الفلسطيني في مواجهة الاحتلال، فالكاتب بكلمته يوثق الحرب، ومن الواجب أن يلتزم بالصدق والأمانة في نقل الحدث، فهو لا يختلف عن الإعلامي الذي ينقل الأحداث، فعليه أن يلتزم بقضايا الأمة من خلال التأثير في الآخرين، وإيقاظ الحماسة والوعي معاً، وإذا كان النضال الحقيقي والقتال على خطوط النار هو الذي أعاد للإنسان ثقته بالنفس، فإن من واجب الكلمة أن تنهض بإعادة الثقة، فبذلك يكون الأدب جزءاً من الحرب وتعبيراً عن المقاومة من خلال توثيق الحدث بما يشتمل عليه من مشاعر وعواطف، فالأدب لا ينتهي بانتهاء الحرب، لأنه يخلد الأبطال والأحداث بكل ما فيها من تفاصيل وينقلها إلى الأجيال، وهذا ما يعمل الأدباء عليه اليوم من توثيق انتفاضة الأقصى بكل تفاصيلها التي حاول الإعلام الغربي طمسها، فهم لسان العصر ولسان الأمة، وما سيكتبه الأدباء الشرفاء سيكون تاريخاً مشرفاً للعرب عن تضحيات أهلنا في فلسطين.

الخداع في سياسة الغرب

كتب: عيد الدرويش

اتسمت سياسة المجتمعات الغربية بالخداع والمراوغة، واستخدام الذرائع، تحقيقاً لما تصبو إليه، وفي مقدمة ذلك السيطرة على شعوب بلدان العالم الثالث، وما استطاعت إليه سبيلاً في بقاع أخرى من العالم، والإبقاء على حالة الضعف والتخلف والهيمنة، ومن وجهة نظر علم النفس على مستوى الأفراد والجماعات بما يسمى عقدة النقص، من ناحية الموارد والميزات الجغرافية، ومن ناحية أخرى هي مبتورة الجذور الحضارية، ما يدفعها للتعويض الزائد أو التعويض العكسي في التوجه نحو التقدم المدني والصناعي والتقني، والغرب يتقدم على الشرق في الميزان المدني وليس الحضاري، وارتبط تقدم الغرب بالقيم المادية بعيداً عن القيم الروحية والإنسانية، وبقي الشرق يعيش على موائد الغرب المادية.

الخداع هو فرط في الذكاء، وتفويت الفرص على الطرف الآخر، كل ذلك لتحقيق منافع ومصالح وغايات، ليدفع ثمنها الطرف المقابل.

الغرب يتبع سياسات متعددة وفق مصالحه، ومنها سياسة الخداع في التركيز على جانب كبير من الأهمية مدعياً مناصرة المرأة، والدفاع عن حقوقها، الوقوف إلى جانبها، مثلما فعل الراج البريطاني عندما أخذ يتظاهر بأنه حامي المرأة الهندية معارضاً عادة "الساتي" أو حرق المرأة الأرملة لنفسها، بعد وفاة زوجها، ولكن بعد قرن من الزمن، وفي موضع آخر اتبعت قوى الاحتلال الأطلسية في أفغانستان الخطوة ذاتها عندما قدمت نفسها بوصفها المدافع عن المرأة الأفغانية دفعت دول الناتو باحتلال ذلك البلد الصغير بدافع القلق على حقوق المرأة، ولم يتم إحراز تقدم في حقوق المرأة، فالتعليم كان متاحاً في أفغانستان، وكان لدى المرأة الفرصة للذهاب الى المدرسة، وهذا يؤكد أن المستعمرين نادراً ما يهتمون لهذه الأشياء.

في متغيرات دولية أخرى، بدلت أمريكا والغرب سياستها إلى مفهوم عصر إطلاق مفاهيم الحرية والديمقراطية، وحقوق الإنسان، وصولاً إلى تحقيق الليبرالية والليبرالية الجديدة، التي تعتمد على تفكيك المنظومة الاجتماعية والثقافية والفكرية للأسرة، فلم يعد الانتماء يعني شيئاً للفرد، بقدر ما يعنيه هو حاجاته الشخصية التي يجب تقديمها له، ويعدها حقاً من دون أن يقدم الواجب، أو يحافظ على نمط خاص به في حياته، سواء في لغته أم ثقافته، وكيانه واستقلاليته، وأخذت في تحطيم وتذويب كل الأيديولوجيات التي تخالفها في المنهج والعقيدة، لتفرض أيديولوجية غربية جديدة لا تساوم عليها، وتعمل بكل جهدها للتدخل في شؤون الدول الأخرى، مدعية بأنها تسعى لتأمين السلع الأساسية لها، وكذلك في الجانب الأمني، وسعر الصرف والتجارة الحرة، كما تنتهج نظرية الاستقرار من خلال الهيمنة، واستطاعت تدمير النظام ثنائي القطب في العالم في بداية التسعينيات من القرن الماضي، وطرحت نظام شرق أوسط جديداً وفق ما تحلم به أمريكا والغرب، وخلق المزيد من النزاعات الدولية، وإشعال بؤر التوتر لحصد المزيد من الأرواح، وتصبح الحروب مشروعاً اقتصادياً مربحاً لها من خلال مؤسساتها العابرة للقارات، وهي من أسهمت في تأسيس الأمم المتحدة، لتمرير شؤونها من خلال هذه المنظمة، وأول منجزاتها إنشاء الكيان الصهيوني في قلب الوطن العربي، واليهود في العالم هم من أسهموا فيها، ويسيطرون عليها بنسبة كبيرة، وتحت مظلة هذه المنظمة، أطلقت جمعيات حقوق الإنسان خدمة للمصالح الغربية، وفي مقدمتها مصلحة اليهود، من دون أي اعتبار لحق من حقوق الإنسان في أية بقعة من هذا العالم، فعلى سبيل المثال لا الحصر، ما يجري اليوم في غزة من إبادة شعب أعزل، دون أن تبدي هذه الجمعيات أي اهتمام، أو أن تهتز مشاعر القائمين عليها، وكذلك في خديعة وذريعة الغرب لتدمير العراق بأن النظام العراقي السابق يمتلك أسلحة كيماوية، وهذا يهدد الأمن والسلم الدوليين، ولكن إسرائيل على مرمى حجر من العراق، تمتلك مفاعلاً نووياً لإنتاج السلاح الكيماوي، فهذا لا يراه مجلس الأمن، ولا جمعيات حقوق الإنسان، وتدمير سورية في خديعة الحرية والديمقراطية، وتهافُت كل الشذاذ المرتزقة عليها، بتمويل من بعض الحكومات العربية والإسلامية، إنها الديمقراطية الحرية، وحقوق الإنسان في معايير الغرب، ولكنهم يمنعون المساعدات عن المدنيين في غزة، ويمارسون همجية ووحشية عليهم لا نظير لها في التاريخ، ولم نرَ من طالت لحاهم على الفضائيات يرفعون أصواتهم بالدعوة للجهاد مناصرة لهذا الشعب الأعزل والمحاصر، واكتفى بعض قادة العرب والمسلمين، بإصدار بيانات الشجب والاستنكار والتنديد بالعدوان، يخادعون شعوبهم، تنفيذاً لأوامر سيدهم الأمريكي، من أجل القضاء على المقاومة الفلسطينية، وحلفائها في المنطقة ومناصريها في العالم.

محمد كرد علي وخطط الشام

كتب: أ.د. مصطفى العبد الله الكفري

كيف يسمح الكاتب والمفكر لنفسه عبر قلمه ورواياته التاريخية الممتعة، بالدخول إلى حجرة قارئه، فيخترق خصوصيته ويمنعه من دراسة تخصصه كالاقتصاد ويملي عليه أفكاراً وطريق حياة أحياناً، فيوصيه اذهب، عش، سافر، اعشق، افعل ما تريد، لا تكن خروفاً ولا تكن ذئباً.

أعترف أني عشقت وأحببت بالأمس وأني أحب اليوم، وأني عاشق دائم للكتب والكلمات، (لم أعرف حقاً كيف يمكن تجنب التحول إلى خروف أو إلى ذئب في عالمنا القاسي، وربما بقيت كأغلب البشر مزيجاً من الاثنين، كائنات وسطية تبحث عن الأمان والاطمئنان فتفاجأ باستحالة الطيبة المطلقة والشر المطلق، فتتوه ثم يحصل لها أن تلتقي بجملة عابرة في كتاب عابر، فينفتح أمامها أفق ينادي ظل الإنسان داخلها، فتذهب أبعد في بحثها عما هو مشرق ومختبئ فيها).

تسلل أدب وفكر محمد كرد علي إلي هكذا مع خطط الشام، حيث جاءتني هدية من زوجتي وأبنائي سلام ونور وزينة ومحمد بمناسبة عيد ولادتي كتابه الموسوعي في التاريخ (خطط الشام) المكون من مجلدين كل مجلد يحوي ثلاثة أجزاء، في التسعينيات من القرن الماضي، وكنت قد بدأت أهتم بتاريخ بلاد الشام، الذي تحول إلى طريق حنين لم ينته بعد، كنت أقاوم كي أترك الخطط من يدي وأعود إلى أبحاثي في الاقتصاد وأعمالي في كلية الاقتصاد بجامعة دمشق، ولم أكن أدرك بوضوح أن الفكر والأدب والتاريخ رديف للاقتصاد، محفز له.

في مذكراته رفض محمد كرد علي الاستبداد وفضح الاستعمار وأساليبه في البلاد العربية وحض على العلم والتعليم لتحقيق النهضة ونادى بمكافحة العادات والمعتقدات السلبية، وكشف أساليب استغلال النفوذ وغير ذلك من القضايا التي عاشها كرد علي أو التي كانت تعيشها المجتمعات التي زارها.

يعرفنا محمد كرد علي بدمَشْق فيقول: (دمَشْق بكسر الدال وفتح الميم وإسكان الشين، اسم هذه المدينة الجميلة مدينة السحر والشعر، قالوا إن أصلها لفظة آرامية مماثة «مشق» تتقدمها دال النسبة، وقد وردت في اللغة الهيروغليفية على هذا النحو تقريباً، ومعناها الأرض المزهرة أو الحديقة الغناء، وأطلق الآراميون عليها اسم «درمسق»، والسريان «درمسوق»، وأهل لغة التلمود «درمسقين»، وقالوا إن إرم ذات العماد التي وردت في القرآن الكريم هي دمشق بعينها، وبعض المفسرين يذهبون إلى ذلك، الآية الكريمة، (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ × إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ × الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ).

من أبرز ما عُرف به «كُرد علي»، دفاعه عن العرب والعروبة والحضارة العربية، (إذ كان عُروبياً مؤمناً بالعربية وأهلها، لا يرى العروبة تنفصل عن الإسلام في شيء، واقفاً بالمرصاد للشعوبيين، يردّ طعونهم على العرب والإسلام، ويفنّد حججهم بحجج وبراهين راسخة، وقد حفل كتابه "الإسلام والحضارة الغربية" (1934م) بالكثير من النقولات عن الأعلام الأجانب المنصفين، وتتبّع المقالات المسيئة للشعوبيين والمستشرقين وناقشها وفنّدها، وله في هذا السياق مؤلفاتٌ أخرى مثل: غرائب الغرب (1922م)، الإدارة في عزّ العرب (1934م)، أقوالنا وأفعالنا (1946م)، كنوز الأجداد (1950م)، وترجم أيضاً كتاب "تاريخ الحضارة" لـ شارل سنيوبوس).

ومن أبرز أقوال محمد كرد علي في هذا السياق:

– (إن ما نقله العرب عن غيرهم من تراتيب الممالك معروف ومعترف به، والإنصاف يقضي أن يسجّل لهم قسطهم من الأعمال المنبعثة مباشرة من قرائحهم المزيّنة بأخلاق عالية، ما عهد، فيما نظن، مثلها كثيراً في الأمم السابقة ولا الخالفة).

– (كانت للعرب عادات حسنة اقتبست بعضها الأمم الغربية، ولما جاءنا الغربيون بهذه الحضارة الحديثة، أصبح من اللازم أن نأخذ عنهم بعض ما ينفعنا من عاداتهم المستحبة، سنّة طبيعية في الخليقة أن يأخذ المتأخّر عن المتقدّم، والجاهل عن العالم).

لم يكن لعالمي الداخلي أن يكون على ما هو عليه دون الكتب والروايات والتاريخ وبخاصة في عالمنا الذي أصبح حقاً بلا خرائط ولا جغرافيا، إنه دور الفكر والأدب في حياة كل قارئ، انه يجعلنا أقل عرضة للبؤس والخداع لأنه يربطنا بشرطنا الإنساني المعقد والبسيط بآن، لم يقل محمد كرد علي، صاحب المشروع التاريخي الكبير، شيئاً آخر في زمننا الذي يدفعنا بؤسه الى الأسفل، فننا ضل ونحاول الصعود من بئر الرعب والقنوط متأملين أن يلد الي باب شيئاً، طوبى محمد كرد علي الذي حاول وآمن بناسه وأحبهم وأورثهم كلمات توغل بعيداً في الوجدان.

اليوم العالمي للغة العربية

كتب: د. صياح فرحان عزام

يوم الثامن عشر من كانون الأول، هو اليوم العالمي للغة العربية، وفي هذه المناسبة لا بدّ من الوقوف عند لغتنا العربية التي تُعدّ المُقوّم الرئيس للهوية، وهي كذلك، بما حملت من تراث وأدب ومعارف وعقيدة وتاريخ وقيم وتقاليد، وعادات، وأعراف اجتماعية، وأساليب تعبر عن الفرح والترح وعن كل ما يتصل بالتكوين الاجتماعي للأمة العربية، وهي أيضاً ارتباط شعب بأرض عبر التاريخ ونضوج تجربة هذا الشعب متواشجةً مع الجغرافيا والزمن بتفاعل خلاّق، وهي كذلك لغة تفكير وتعبير.

كذلك تُعَدّ اللغة العربية أحد أهم العوامل الأيديولوجية للمشروع القومي، وقد حققت رسالة داخلية تمثّلت في تأكيد التلاحم الثقافي والواقعي بين أبناء الأمة العربية، وقامت بدور مواز في امتدادها في العالم الإسلامي كعامل موضوعي للرسالة الإسلامية، وبذلك ربطت شعوب العالم الإسلامي بقضايا الأمة العربية وهمومها.

بعد هذا تجدر الإشارة إلى أن اللغة العربية تتعرض لتحديات كبيرة منها: محاولات ترسيخ اللهجات العربية التاريخية كلغات مستقلّة، والترويج للعاميّة المحلية، والإغراق في تعقيد اللهجات المحلية، والتآمر على الحرف العربي الذي تعتمده لغات بعض دول العالم الإسلامي، والادّعاء أحياناً بأنها ليست لغة العصر، والدعوات للكتابة بالحرف اللاتيني، وتوجُّه في بعض الدول إلى أن تكتسح اللغات الأجنبية، لا سيّما منها الإنكليزية والفرنسية، الجامعات وحصون التعليم، ليس بمواكبة اللغة العربية وإنما على حساب وجودها، وفي هذا السياق هناك وسيلة هدم جديدة لبُنيان صروح لغتنا العربية "لغة الضّاد" تتمثّل في الانفلات الكبير في وسائل التواصل الاجتماعي في السنوات الأخيرة، حيث صار إنتاجها المشبوه أكثر تكاثراً وخطراً من الحشرات الضارة، حيث في مطبخ السموم النافعة توجد برامج "يوتيوبيّة" تسعى جاهدةً إلى هدم اللغة العربية ومحاولات النيل منها عبر التشكيك في أصولها ونشأتها وجذور أدبها وقواعدها، متجاهلين أنها لغة أربعمئة مليون عربي..

ولكن مع هذا لن تستطيع سيوف ومعاول المتطفّلين الساذجين والبلهاء وذوي الجهالة والجهل أن تهدم بُنيان صرح عتيد من صروح الحضارة العربية والإنسانية مهما تفنّن أصحابها في ذلك...

والجدير بالذكر، أن سورية أول من تنبّهت لهذه المحاولات وحذّرت منها، حيث أُقيمت ندوات بحثيّة وورش عمل خاصة لمناقشة موضوع اللغة العربية شارك فيها خبراء ومتخصّصون وأساتذة جامعات باللغة العربية وعلومها عرضوا فيها توجّهاتهم وآراءهم حول استهداف اللغة العربية والتحديات التي تعترضها، وقدّموا توصيات ومقترحات حول ضرورة وضع آليّات لتعزيز الانتماء إلى اللغة العربية وحمايتها من الأخطار، علماً بأن مثل هذه الندوات وورش العمل الخاصة باللغة العربية جاءت ترجمةً لما قاله السيد الرئيس بشار الأسد في إحدى كلماته: "إنه مطلوب هذا اليوم، استكمال جهودنا بالنهوض باللغة العربية، ولا سيّما في هذه المرحلة التي يتعرض لها وجودنا القومي لمحاولات طمْس هويته ومكوّناته".

علاوةً على ذلك، وفي هذا الإطار، وهذه الرؤية الوطنية والقومية، أصدر سيادته مرسوماً بتشكيل اللجنة العليا لتمكين اللغة العربية، للحفاظ على لغتنا الجميلة، عنوان هويّتنا، ووعاء ثقافتنا، ومآثر رسالة أمتنا وقيمها التي سطعت على العالم، لتبقى ساطعة مُشرقة في عقولنا وعقول أبنائنا وأحفادنا وفي أذهان الأجيال القادمة فضلاً عن أنها مكوّن رئيس من مكونات وعوامل القومية العربية إضافة إلى ما تقدم، فإن اللغة العربية ليست مجرد لغة وإنما هي في جوهرها إبداع وأصالة، ولها خصائص تميّزها عن غيرها من لغات العالم، وتدلّ على المستوى الرفيع في عقول أصحابها وأهم هذه الميزات:

1 . الإعراب 2 . دقة التعبير، 3 . الإعجاز والإنجاز، 4 . المعاني الكثيرة للفظ الواحد، 5 . السجع وغيره من أسباب سعة اللغة، 6 . المترادفات والأضداد، 7 . حكاية الأصوات، 8 . الأمثال.

كذلك تتجلّى علاقة القرآن الكريم باللسان العربي بيّنةً فيما لا يقلّ عن أربع عشرة من آياته منها مثلاً: "إنّا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون". كما أنها تُعدُّ ركناً من أركان التنوّع الثقافي للبشرية، وقد أبدعت بمختلف أشكالها وأساليبها وفنونها النثرية والشعرية آيات جمالية رائعة تأسر القلوب وتخلب الألباب في ميادين متنوعة، وكانت أيضاً حافزاً على إنتاج المعارف ونشرها، وساعدت على نقل المعارف العلمية والفلسفية اليونانية والرومانية إلى أوروبا في عصر النهضة وإقامة الحوار بين الثقافات.

إبراهيم طوقان وقصيدته الفدائي

كتب: د. خلدون صبح

إبراهيم بن عبد الفتاح طوقان شاعر غزل من أهل نابلس في فلسطين قال فيه أحد كتابها: (عذب النغمات ساحر الرنات تقسم بين هوى دفين، ووطن حزين).

تعلم في الجامعة الأميركية في بيروت، ونحن إذ نقف لنحلل قصيدة من أبدع قصائده وأشهرها وهي قصيدة الفدائي لأنها نغمة ولوحة رسمها بالكلمات:

عبس الخطب فابتسم وطغى الهول فاقتحم

ونلاحظ من البيت الأول الموسيقا من خلال التصريع بين الميم في الشطر الأول والميم في الشطر الثاني وهذا يرتبط موسيقياً بالقرار والجواب وهو يعتمد على المطابقة والجدلية بين الفعلين عبس وابتسم والمطابقة من أهم سمات الشعر العالمي، ويظهر منذ البداية شجاعة الفدائي الذي يقف أمام الخطوب مبتسماً شجاعاً، ويعتمد الشاعر على التشخيص والاستعارة المكنية فيجعل الخطب يعبس كالإنسان حينما تشتد الأهوال، ويرشح الاستعارة فيعتمد على طغيان الأهوال في الشطر الثاني التي تشتد لكنه يدخل في قلب المعركة.

ويعدد إبراهيم طوقان صفات الفدائي البطل، فهو صاحب إرادة وعزيمة، فقلبه وعقله ثابتان نحو القتال، وقدمه لا تعرف إلا التقدم في قتال الأعداء:

رابط الجأش والنهى ثابت القلب والقدم

ويستمر في وصف التركيب النفسي لهذا الفدائي المقاتل من خلال توليد الصفات المترابطة:

لم يبال الأذى ولم يثنه طارئ الألم

فالجروح التي قد يتعرض لها تجعله أكثر إقداماً وشجاعة ولا يتراجع عن هدفه ونلاحظ استخدام الترادف بين الأذى والألم وجمل متلاحقة من خلال أفعال مجزومة.

والجدير ذكره قدرته على التلاحق بين الأشطر في وصف الشجاعة، فهمته تسقط أمامها الهمم الأخرى:

نفسه طوع مزاجها وجمت دونها الهمم

فمزاج همته مخلوط بالأعاصير التي تأخذ معها كل ما يعترضها:

تلتقي في همتها بالأعاصير والحمَمْ

فالفدائي يسير على درب السمو ويبحث عن الخلود بيتاً له ولو كان أسيراً أو قتيلاً:

سار في منهج العلا يطرق الخلد منزلا
لا يبالي مكبلاً ناله أم مجدَّلا

ويعتمد إبراهيم طوقان على التشبيه وعلم البيان فيشبه الفدائي بكوكب الهدى الذي يشيد الطريق للآخرين، واسمه يردده الزمان، فهو الخلود الحقيقي.

وهذه القصيدة استخدمت في مسلسل التغريبة الفلسطينية كشارة للمسلسل فنالت حب المشاهدين والمستمعين لتمثل حياة الفلسطيني المناضل واللاجئ والعذابات التي يلاقيها.

وتحلو القصيدة بترانيمها وتفعيلاتها القصيرة والقرار والجواب فيها محبوبان لائقان للسمع والأذن.

ومن الجدير ذكره أن إبراهيم طوقان هو الأخ الشقيق لفدوى طوقان الملقبة بشاعرة فلسطين، وقد لقب إبراهيم بشاعر الجامعة والثورة فهو الشاعر الثائر، وقصيدة موطني من أحلى قصائده أيضا لحنها الموسيقار اللبناني محمد فليفل عام 1934 ولها شهرة عند الشعب العربي، وهي النشيد الوطني في العراق ونشيد وطني غير رسمي في فلسطين وفيها يقول:

موطني
الجلال والجمال
والسناء والبهاء في رباك
والحياة والنجاة
والهناء والرجاء في هواك
هل أراك
سالما منعّماً
وغانماً مكرّماً

وعاجله المرض وله قصيدة غزل بالممرضات في المشفى التي عولج فيها وهذه القصيدة من أجمل ما يكون... إنه إبراهيم طوقان الشاعر الخالد.

علم الفلسفة والعالم

كتب: محمد جميل الحافظ

تمهيد:

إن علمَ الفلسفة.. ومنذُ بواكيره الأولى، اهتمّ بالكلام والمتكلمين، واهتم بنظرته إلى العالم، يتغير بتغيره، ويتطور بتطوره، لأنه يمتلكُ تصوراً دقيقاً عن العالم بكل ما فيه، فبدأ يبحث عن حقيقة الكون والطبيعة والإنسان وعلاقتهم بالخالق من جهة وعلاقة الإنسان بالكون والطبيعة من جهة أخرى.. لأن الإنسان كونه الأداة الفاعلة والغاية الأساسية من وجود الكون والطبيعة، وتأكيد تحقيق رباعية: / الله – الإنسان – الكون – الطبيعة/ وفي إطار هذه الرباعية المهمّة من تاريخ نشوء علم الفلسفة وبشكل عام، نستطيع أن نؤكد أو نحدد فكرتين مهمّتين:

الأولى: هي الفكرة التي تقول بخلق الكون، وتضمُّ هذه الفكرة بعض الفلاسفة أمثال (كنط).

والثانية: هي التي تؤكد قدم الكون بكل محتوياته، وتضم هذه الفكرة أكثر الفلاسفة وعلى رأسهم (سقراط).

القديم والجديد:

لقد ميز علم الفلسفة بين القديم والجديد، فكان القديم عنده هو الصفات التي اتصفت بها المشيئة الإلهية، والجديد هو العالم وصفاته وما تشكل ويشكل منه، ومن هذا التمييز بين القديم والجديد استنبط علم الفلسفة علمه الجوهري الذي أكد وجود الله الذي لا أول ولا آخر وإنه إله بذاته وإله بقدَمه.. وهذا العلم أيضاً على خلق العالم بموجوداته، وأكد علم الفلسفة على عدم وجود أي تشابه أو أيّة مشابهة بين الله والعالم، وأطلق علم الفلسفة عدم الوجود هذا اسم التنزيه أو مبدأ التنزيه بمعنى أن الخالق مُنزه عن صفات المخلوقات، ولكن الفارابي حاول إيجاد فهمٍ معلولٍ أو نظريةٍ تدلُّ على وجود العالم بقدرة الخالق سُمّيت: (نظريةُ الفيض).

إن الله سبحانه واحدٌ أحدٌ، له صفات مثلَ: الأزلية – الديمومة – الحياة – العلم – البقاء – الخلود وله صفاته القائمة بذاته مثل: الإحسان – القصاص – الرحمة – العدل – القدرة.

(الله تعالى قديمٌ لم يزلْ.. ولا أولَ لوجوده.. ماهيةُ القديم من خلال نظرية الأشاعرة.. في تقسيم الموجودات حيثُ تنقسمُ هذه الموجودات إلى قسَمين: قديمٌ لم يزلْ، ومحدث لوجوده أول.. الله تعالى هو الموجودُ الأزليُّ الذي يتقدمُ بوجوده على وجود العالم إلى ما لا نهاية، وليسَ لوجودَهَ بدايةٌ، أما المحدثات وهي تشكل جملة هذا العالم فلوجَودها بدايةٌ ابتدأتْ منها وهناكَ مُفارقةٌ كاملةٌ بينَ الاثنين).

لقد عرَّف (ابن سينا) العالم: بأنه مجموع الأجسام البسيطة كلها، ومن هنا تكمن الطبيعة والإنسانية البسيطة وغير المعقّدة للعالم، فهناك في طبيعة العالم تتجسد حركات الزمان عن شروق بعض موجودات العالم وغروبها، ونموّها وبياسها وحياتها وموتها وبدايتها ونهايتها، ومن هنا يتضح لنا عدم أزلية العالم، فهو مُحْدثٌ من العدم وليس أزلياً..

(إن القديم بحسَب الذات هوَ الذي لا يوجد لذاته مبدأ به وجب أو لا يوجد لذاته مبدأ يتعلق به، وهو الحقُّ الواحد تعالى، أما القديم بحسب الزمان فهو الشيء الذي وُجِد في زمانٍ ماضٍ غير متناهٍ، أي لا أول لزمانه).

المكان والزمان، والعالم:

المكان والزمان، هما الأساسان اللذان يرتكز عليهما العالم بكل معارفه، وهما ضرورتان متكاملتان لوجود العالم.

هكذا فإن العالم في مثالية المكان والزمان لا تردُّ كل العالم المحسوس إلى مجرد مظهر بل هي بالأحرى الوسيلة الوحيدة والواقعية لتجنب الوهم والخطأ في كل المكان وكل الزمان خارج نطاق العالم.

الفلاسفة والعالم:

إن مشكلة العالم شغلتْ أفكار الفلاسفة في معظم كتبهم ومؤلفاتهم، فأعطوا فيها نظرياتهم وأفكارهم، وكان أمامهم رأيان: الأول: هو رأي أرسطو، الذي يؤكد أن العالم قديمٌ بالمطلق.

الثاني: أنّ العالم مخلوقٌ من العدم، وأن الله أوجد العالم، وقد أيّد هذا الرأي بعض الفلاسفة كالغزالي والفارابي والكندي..

فلماذا لا يكونُ العالم بين هذين الرأيين، بين القدم والخَلْق من العدم، لأن الله تعالت قدرته، هو الذي خلق العالم من العدم وأبدع في خلقه وهو الذي لا أوّلَ له ولا بداية ولا نهاية.

يقول الفيلسوف (باسكال): إن العقل لا يستطيع أن يدرك العالم بما لديه من الأفكار الفطرية الأولية، أما ما وراء ذلك من الأسرار المحجوبة فيرى باسكال: إننا أعجزُ من أن ندركَ كنهها وحقيقتها.

ثم جاء فيثاغورث الذي لم يعجبْهُ ذلك الاتجاه الذي يسيرُ في تفسيره نشأةُ العالم، وجهةٌ طبيعيةٌ فاتجهَ في التفسير وجهةً رياضيةً، فقال مع أتباعه:

(إن الماء والهواء وكل مادة مهما كانت لا تصلح أن تكون أصلاً لهذا العالم المركب من أشياء متباينة مادية وغير مادية تشمل كلَّ شيء من الماديات، إلا صفةَ العدد، فالعدد إذاً هو الصفة الوحيدة المشتركة، التي يتصفُ بها كل ما في الكون، وهو وحدَهُ الذي يصلحُ أن يكون أصلاً له).

الفلسفة.. تريدُ معرفة كل الأشياء وكنهها، ولا تكتفي بمعرفة هذا العالم المحسوس وما وراءَه يريد أن تعرف ما هو هذا الإنسان، وما هو الجمال، وما هو الخير، وما هي المحبة، لذلك فقد عرَّف الفلاسفة الفلسفة بأنها النظر في حقيقة الأشياء.

المراجع:

1 – قصة الإيمان – تأليف نديم الجسر – صفحة 42

2 – تاريخ الفكر الفلسفي – تأليف حسان شكري الجطّ – صفحة 32 - منشورات اتحاد الكتّاب العرب

3 – النجاة – ابن سينا – القسم الثالث – طبعة ثانية – القاهرة 1938 – صفحة 218

4 – الأخلاق عند كنط – تأليف عبدالرحمن بدوي – وكالة المطبوعات – الكويت 1979 – صفحة 17.

الخيال فلسفياً

كتب: أ. د. أحمد علي محمد

ارتبط الخيال عند أرسطو بالحركة الناجمة عن الإحساس بالفعل، حيث تشكل حاسة البصر أداة أساسية في تكوينه، ذلك لأن الحركة من شأنها الانتقال من مرحلة التخيل إلى مرحلة التخييل، وبتكامل عمليتي التخيل والتخييل تتولد الفنتازيا (phantasy) التي تعني في اللغة اللاتينية النور، حيث إن المرء لا يتمكن من الرؤية من دون النور، فالصور التي ندركها بطريق البصر وعبر النور الذي يوضح أبعادها ترتبط عند أرسطو بالإدراك الإنساني أو العقل، وهو ما يميز الكائن البشري عن غيره من البهائم، إذ الصور التي يدركها العقل شبيهة بالإحساسات، على حين إن الحيوانات تقوم بأفعال بتأثير الغريزة، لأنها لا تمتلك عقلاً، أو أن عقلها يحجب بالانفعالات أو الأمراض، على حين تظل ملكات الخيال عند الإنسان مستيقظة(1).

فرق أرسطو بين الخيال والوهم والتفكير، حيث إن الوهم يختلف عن التفكير، ومعناه: (حال تخيل أشياء لا وجود لها في الحقيقة، أما التفكير فهو حكم على الأشياء بما لا يتعلق بإرادة، بينما التخيل يخضع للإرادة، فالتخيل يمكن أن يكذب في موضوعات الحس، بينما تصدق الحواس، والتخيل غير الظن المصحوب بالإحساس)(2)، غير أننا خلافاً لرأي أرسطو لا نستطع الفصل بين الخيال والوهم، ولا سيما ما يعرف بالخيال الإبداعي أو التأليفي الذي يقوم بتشكيل الصور، ويستند عادة على ركنين: الوهم الذي يبرز في الأعمال الإبداعية، والتركيب الذي يتمثل في العلم، على أن هنالك أنواعاً أخرى للخيال منها الخيال الاسترجاعي الذي يعيد الصور الحسية بعد غياب صورها، فمهما تنوعت صور الخيال فإنه في نهاية الأمر يمتاز بكونه ملكة عقلية تقوم بإنتاج الصور أو استرجاعها، وهو من ثم قوة مرتبطة بالوهم لانعدام صلته بالواقع، ومن جهة أخرى فإن الخيال تعبير عن رغبات ونوازع متصلة بالميول، لذا فهو أسلوب فعال في مجاوزة الواقع المحدود، يستعمله المبدعون في الإعمال الفنية والأدبية والعلمية(3).

أما الفلاسفة المسلمون فقد ربطوا بين الخيال والوهم، حيث أشار أبو يعقوب الكندي إلى أن الخيال قوة نفسانية تكوّن الصور، ثم قرنه بالتخييل الذي سماه (الفنطاسيا) ومعناها: (حضور الصور الحسية في النفس مع غياب طينتها) (4)، على حين قرن الفارابي الخيال بالمصورة التي شبهها بالخزانة التي تجمّع المدركات الحسية (5)، كما تحدث عن علاقة الخيال بالتخييل أي الأثر الذي تتركه الصور الخيالية في نفس المتلقي (6)، أما ابن سينا فقد تحدث عن علاقة الخيال بالإحساس، ووافق ما ذهب إليه أرسطو في اعتباره المدركات المحسوسة تعقبها مراحل التخييل بعد غياب صورها الحسية، فالتخيل عمل باطني يخضع لعوارض مثل: (أين- متى- كيف...؟)، غير أن عميلة التخيل الباطني ليس بمقدورها الانتقال إلى مرحلة التجريد (7)، ومن جهة أخرى فإن ثمة تشابهاً بين الخيال والإدراك من وجهة نظر ابن سينا، من حيث وظيفة كل منهما، إذ الذاكرة من شأنها استعادة صور المعاني القديمة التي سبق إدراكها، أما التخيل فيمكن أن يستعيد صوراً حالية، ويتعامل معها من جهة أنها موجودة، من هنا شكل الخيال والإدراك عنده ثنائية تتألف من قوى الاستقبال والحفظ المقترنة بالخيال، حيث ترفد الحواس الحس المشترك بالصور المحسوسة لتقوم القوة المصورة بحفظ تلك الصور، ثم يأتي دور القوى الوهمية باستقبال المعاني وتودعها في الذاكرة(8).

وخلاصة الرؤية الفلسفية الإسلامية للخيال أنها ارتبطت بالتأملات الفكرية لماهية الخيال ووظيفته، وقدمت تصوراً بعيداً عن التشكيل والتجسيم، فالمبحث الفلسفي لموضوع الخيال بدأه الفلاسفة اليونان الذي حرص فيه أرسطو على نحو خاص بحشد البراهين والأدلة على فعالية الخيال باعتباره نمطاً من التفكير، مرتبطاً بالعقل وبالنفس والعلة والسبب والوجود والحياة، وهو من ثم أساس عمليتي التحليل والتركيب لفهم المختلف والمتغاير والمتميز، ومع أن الفكر الإسلامي في موضوع الخيال قدر ورث الكثير من التصورات المتعلقة بماهية الخيال، إلا أنه أضاف إليها تصورات جديدة، بيد أن ما قدمته الفلسفة الإسلامية من تصورات أو إضافات إلى المبحث الفلسفي العام لم يلق اهتماماً من الدراسين، والسبب في ذلك أن الفلسفة الإسلامية عامة واجهت عوائق شتى منها اعتراض الفقهاء على ما جاء به الفلاسفة المسلمون من رؤى فلسفية تتعلق بمسائل الوجود وما وراءه، وهذا ما يظهر بجلاء في مؤلفات الغزالي ولا سيما في كتابه "تهافت الفلاسفة"، كما ظهر في موقف المتصوفة الذين خالفوا الفلاسفة المسلمين حين عدوا الخيال وسيلة معرفية، ووسيطاً بين عالم الحس وعالم العقل، فرأى أهل التصوف أن انفتاح الذات على الموضوع يؤدي إلى إدراك الحقيقة المطلقة، والانفتاح لا يتعلق بالمعرفة الحسية أو العقلية، لأنه ضرب من الحدس والإلهام كما هو الشأن عند ابن عربي، حيث تعامل مع الخيال بوصفه مرتبة للارتقاء، فهو الذي يبدع الصور والأشكال ويمكن من الرؤيا في مكانين في وقت واحد، أي تحدث عن الأساس الثيولوجيا(9) للخيال الذاتي، وهو خيال لا يخطئ، يقول: (الخيال لا يخطئ بعكس العقل، أما الوهم فهو قوة من قوى النفس يرمز لها بالشيطان، وهو ما يميز بين الإنسان الكامل والإنسان الحيوان، فقد خلق الله للإنسان قوى العقل والوهم والفكر، وكل هذا تمييز للحضرات الخاصة ببني آدم)(10)، وهذا إنما يفضي إلى دور الخيال في إنتاج المعرفة المدركة بغير الحس، حيث يرى ابن عربي أن الخيال أحد القوى العقلية التي تبلغ مرتبة الإبداع، وهو ما سماه الخيال الخلاق الذي يتمتع بوجود كامل، وهو من ثم موضع التجلي في فلسفة ابن عربي الصوفية.

إحالات مرجعية:

1 أرسطو طاليس، (1962) النفس، مصدر سابق، ص: 107.

2 المصدر نفسة، ص: 109.

3 أبو سيف، حسام أحمد (2006) سيكولوجية الصور العقلية، بحث منشور في مجلة قطر، المجلد: 31، العدد: 142، ص: 172.

4 الكندي، أبو يعقوب (1950) رسائل الكندي الفلسفية، تحقيق: محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الفكر العربي القاهرة: 1/167،

5 الفارابي، رسائل الفارابي، ص: 62

6 المصدر نفسه ص: 65.

7 ابن سينا (1975) كتاب الشفاء، تحقيق: جورج قنواتي وسعد زايد، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ص: 147.

8 المصدر سابق، ص: 149.

9 الثيولوجيا هي العلم الذي يهتم بدراسة العقائد، أو اللاهوت، ينظر: (سعيد، جلال، معجم لمصطلحات والشواهد الفلسفية، ص: 72)

10 ابن عربي، الفتوحات المكية: 2/310.

لن تُضاء شجرة الميلاد...

كتبت: إيلين كركو

في الأرض التي تنبض بروح الميلاد، على التراب الذي ولد عليه السيد المسيح، يحتفل العالم كل عام، بإضاءة شجرة عيد الميلاد الضخمة في بيت لحم.

ورغم الويلات التي تعاني منها فلسطين والفلسطينيون منذ أن احتلّ الصهاينة أرضها الطاهرة، فقتلوا، وشردوا، ويتموا، ورمّلوا، واستباحوا، واغتصبوا، تُضاء شجرة الميلاد في رسالة مُفادها أن الشعب الفلسطيني سيبقى صامداً، مزروعاً في تراب وطنه، مؤمناً بالسلام وبالعدالة الإلهية التي تعيد لكل ذي حقٍّ حقه، وإن بعد حين...

شجرة الميلاد في فلسطين للمسيحيين وللمسلمين، فهي باتت رمزاً وطنياً وإنسانياً لا دينياً، تُمثّل السلام، في بلد يُصلب فيه السلام ويُستشهد كل دقيقة، على مرأى الإنسانية جمعاء...

يجتمع الزوار بالآلاف من مختلف أصقاع الأرض ليشهدوا هذا الحدث العظيم، في البلد الذي انطلقت منه رسالة السيد المسيح، لتُضاء الشجرة الضخمة في ساحة المهد مع ترانيم عيد الميلاد والعروض الفنية والكشفية، فيما تتزين شوارع المدينة بأضواء أعياد الميلاد وسط فرحة عارمة لا توصف.

لن تُضاء شجرة عيد الميلاد في بيت لحم هذا العام، حيث ألغيت الطقوس الاحتفالية حزناً على أرواح قَضَت علي يد برابرة الأرض الذين قرروا الانتقام من البشر والشجر والحجر في غزة الجريحة، وستقتصر الاحتفالات على الجانب الروحي فقط، وستمتنع الكنائس في فلسطين عن الأنشطة الاحتفالية، مكتفية بالصلوات والطقوس الدينية.

تحت كل شجرة ميلاد مغارة صغيرة، ينام فيها يسوع في مذود بين يوسف ومريم، لكن المغارة أيضاً رحلت حزناً على آلام غزة، ليبقى يسوع الملفوف بكوفية فلسطينية راقداً بين ركام البيوت المهدمة على رؤوس ساكنيها الأبرياء.

هذا هو شكل عيد الميلاد اليوم في فلسطين، حزن، ودم، وموت، ويُتم، وتشرد، فالشوارع خالية، حرّمت على نفسها الفرح إكراماً لضحايا غزة، وبينما تُرتكب الإبادة الجماعية ضد الشعب المظلوم في غزة، باتت فرحة الاحتفال بميلاد السيد المسيح مشوبة بحزن عميم ورفض ثائر للظلم والصمت المُشارك في الجريمة والمتستر على مرتكبيها...

قنيطرة ٧٤
بين فصاحة الألم
وفداحة الصّمت

كتب: منير خلف

ليسَ العنوانُ: (قنيطرة 74)عنوانَ قصيدةٍ عابرةٍ أو قصّةٍ قصيرةٍ، وإنّما هو عنوانُ فيلمٍ قصيرٍ زمنيّاً، طويلٍ في تاريخِ الوعي وذاكرةِ الوجدان، شهدَتْهُ مدينةُ القنيطرةِ وشهدناهُ نحن في المدينةِ نفسِها يومَ الخميسِ الرّابعَ عشرَ من شهرِ كانونَ الأوّلِ الجاري عام 2023 على مسرحِ كليّةِ التربيةِ الرابعةِ ضمن فعاليّةِ «الجولان بين السّينما والرواية» التي أقامها اتّحادُ الكتّابِ العرب بالتّعاون مع اتّحاد الطّلبة باستضافةٍ كريمةٍ من جامعةِ دمشق «فرعِ القنيطرة»، وبحضورِ كاتبِ سيناريو الفيلمِ ومُخرِجِهِ الرّوائي محمّد ملص -أطال الله عمرَهُ- حيث نحتَتْ مشاهدُ الفيلمِ المعدودةُ شواهدَها المؤثّرةَ في العينِ والقلبِ معاً في مدّةٍ لم تتجاوزْ عشرين دقيقةً، لكنّها جاءت حافلةً بما خلّفَتْهُ آلةُ الإجرامِ الصّهيونيّةُ من قتلٍ وإرهابٍ، وسفكٍ للدماء، ودمارٍ طالَ معطياتِ الحياةِ وأركانَها جميعَها، لتعود بطلةُ الفيلمِ الصبيةُ التي لم تتجاوزْ هي أيضاً العشرين عاماً، وهي تقطعُ شوارعَ المدينةِ المدمّرة، ولا تلوي قدماها الصغيرتان على شيءٍ حتّى تقطعا طريقهما من بين الأنقاضِ سعياً للوصولِ إلى البيتِ الذي تكتشفُ البطلةُ المرهقةُ حين وصولها إليه أنّ أبوابَ البيتِ كلَّها باتت مغلّقةً من قِبلِ العدوّ، تصل إلى البيتِ بعد جهدٍ وعناءٍ شديدَين، لتزيلَ آثارَ الدمارِ عن البيتِ وما حوله، وتتّخذَ من بقايا قطعةٍ مكسورةٍ من بلّورِ نوافذِ البيتِ بعد تنظيفها بكُمّ ثوبها مرآةً ترى من خلالها حياةً جديدةً لائقةً بالعودةِ وصناعةِ الأملِ من جديدٍ عسى أن تكونَ عودتُها رغمَ غيابِ كلّ أسبابِ الحياةِ عن المدينةِ المدمّرةِ بدايةَ فألٍ حسنٍ، ولَبِنةَ تفاؤلٍ بعودةِ الحياةِ إلى القنيطرةِ ورغبةً مدفونةً بانتصارِ إرادةِ الحياةِ على شبحِ الموتِ وطغيانِ الهزيمة.

تصلُ الفتاةُ إلى بيتِها، وربّما كان طريقُ البيتِ أجملَ من البيت، كما يؤكّد ذلك الشاعرُ محمود درويش في إحدى قصائده، تصل إلى البيتِ ولمّا تصلْ إليه بعدُ بمعناه الحقيقي، تصل دون أن تجدَ أحداً من أهلِ البيت، لا أبَ ولا أُم ولا أخ أو أخت أو أي كائنٍ يوحي بوجودِ أثرٍ للحياةِ سوى بئرٍ في ساحةِ الدارِ شبه معطّلة، لكنها أي بطلةِ الفيلمِ تدركُ أن لا سبيلَ إلى الماءِ إلا من خلالِ صنعِ دلوٍ من تنكٍ متهالكٍ لإخراجِ ما يلزمُ كي تُطفئَ لظى عطشِها المتراكمِ الكثيف، ثمّ تصادفُ أن ترى جارتهم العجوزَ الخرساء في محاولةٍ خاطفةٍ لإعادةِ شريطِ ذكرياتِ طفولتِها معها، تلك العجوزُ التي حاولت الإمساكَ بـ(ديكها) الذي حاول أن يملأَ فناءَ البيتِ المدمّرِ بصوتِه وصياحِه شبه المتقطّعِ وكأنّ أذانَهُ الفجريَّ يؤذنُ بأن حسراتِ خرابٍ ودمارٍ مُفجِعَين أحاطا بالمدينةِ وأهلِها الذين نزحوا عنها مكرهين، في قلوبهم وحناجرهم خناجرُ لا ترحمُ ما تتفطّرُ لها الأكبادُ وما حوتها، وكأن العجوزَ الخرساء تريد أن تُسكتَ الديكَ عن صياحِه أو مُشاهداتِه التي يراها هو دون سائرِ البشرِ ورأتها العجوزُ الخرساء دون رؤيةِ الذين يجيدون الكلام، وكأن المخرجَ بهذا الالتفاتِ الخانقِ يُرينا كيف تفصحُ لغةُ العجوزِ التي لا يفقهها أحدٌ وأن صياحَ الديكِ الذي لم يُدركْ معناهُ أحدٌ حتى يومِنا هذا بعد مرورِ خمسين عاماً متصلاتٍ بالصمتِ العالميّ المخزي أمامَ ما ترتكبه آلةُ الإجرامِ الصهيونيّةِ عبرَ تاريخِها الدّمويّ مروراً ووقوفاً مديداً بغزّةَ اليومَ في فلسطين.

لغةُ تلكَ العجوزِ الخرساء وصياحُ الديكِ المخنوقُ يختصرانِ رفضَ جميعِ لغاتِ الأرضِ ولغاتِ الطيورِ والحيواناتِ الأليفةِ وغيرِ الأليفةِ لما حدثَ ويحدثُ وسيحدثُ من كوارثَ لا تحيطها اللغاتُ ولا تدركها المعاجمُ، كان الديكُ يتأهّبُ ليمارسَ صياحَهُ المألوفَ، لكنّ العجوزَ التي ذكّرتْها الصبيّةُ بنفسها، أمسكت بالديكِ من رجليه وجعلتْ رأسَه نحو الأسفل، في إشارةٍ إلى إسكاتِه بطريقةٍ غيرِ معهودةٍ وهو الذي لم يتعرّفْ طوالَ حياتِه إلا إلى بزوغِ فجرِ الحياةِ وانتصارِها على شبحِ الظلام.

لا أعتقدُ أن المخرجَ محمد ملص أرادَ من وجودِ الديكِ في الفيلمِ عبثاً، لكنه كان يحملُ في صوتِه الذي لم يعلنْ ما كان يريدُ أن يفصحَ عنه وفي خفايا ريشِه وقوادمِه ما لا تستطيعُ شخصياتٌ غيرِ الديكِ أن تؤدّيَ ذلكَ الدورَ اللمّاحَ الدّالَ في قرارةِ لمحاتِه إلى الكثيرِ من الفجائعيّةِ التي اختزلها الفيلمُ دون تصريحٍ بها أمامَ عينِ الكاميرا، لكنها كانت توقظُ كوامنَ نفسِ المُشاهدِ الفطنِ المدركِ ذاتَهُ ومعنى وجودِه، العارفِ بسرّ الحياةِ وسحرِها المكتنزينِ في مِدادِ الكاتبِ ودمعِ العاشقِ ودمِ الشهيد، فالعجوزُ أمسكت بالديكِ ليس لتذبحَهُ لضيفتها جارتِها الصبيّةِ العائدة، وإنما لتشاركه خَرَسَها، ولتجعلَ من لغتها الخرساءِ وإسكاتِ الديكِ فصاحةً جديدةً للألمِ تعبيراً عنه وعن فداحةِ ما يحدثُ من صمتٍ وسكوتٍ متراكمينِ عبرَ نصفِ قرنٍ من حياةٍ غيرِ لائقةٍ بها ولا بسكّانها الذين تطمحُ نفوسُهم الأبيّةُ في صنعِ جهاتِ شروقِها من جديد.

ضجيج امرأة عاشقة في محراب
وطن مخذول «ما بيننا»
قراءة في رواية لـ«هدى وسوف»

كتب: د. محمد إسماعيل بصل

ملايين الحكايات تتقاطع في المضمون، ولكن قلة من هذه الحكايات يمكن أن يوسم بـ(رواية)... فما الرواية إذاً؟ هل هي الحكاية في مضمونها أم إنها مضمون لنساج نصوص؟

إذا عددنا أن النص نسيج من الأصوات والكلمات والجمل فإننا سنذهب مباشرة نحو فرضية مفادها أن الكاتب هو نساج نصوص، وقد تكون هذه النصوص معروفة ومتقاربة من حيث المحتوى، ولكنها متباعدة، ومتباينة، ومتمايزة من حيث النسج، ومثلما يتمايز مصممو الأزياء في ملابسهم، يتمايز الكتاب في نصوصهم...على الرغم من أن المادة الخام هي ذاتها... وكما يتمايز صائغو الذهب في نتاجهم المعروض في واجهات محال الباعة، يتمايز صياغ النصوص في أعمالهم الإبداعية المطروحة للقراء.

فالذي يجعل من هذا الخاتم، أو ذاك الفستان، أو تلك اللوحة، مادة تستثير المستهلك وتدفعه للشراء، ليست الخامة التي صنع بها وحسب، بل الطرائق، والعلامات، والأدلة، والأيقونات، والرموز التي تم الاشتغال عليها كي تخرج هذه الخامة مثلما خرجت عليه، وبعد، فإن الرواية التي بين أيدينا اليوم والموسومة بـ(ما بيننا)، للروائية هدى وسوف، تسجل في وقائعها قصة امرأة عاشقة، هتكها الخذلان، ودمّر قلبها النكران، وفتك عقلها الغدر، واستحوذ المعشوق الغدار على كيانها جملة وتفصيلاً، وقضت ما تبقى من عمرها تتنفس ذكرياتها مع بطلها النذل كم من صبية عاشت حقيقة هذه القصة، قديماً وحديثاً، عربياً وغربياً، منذ ظهور أول أسطورة في التاريخ حتى يومنا هذا، كم تعرف أنت، وأعرف أنا، وتعرف هي، ويعرف هو، ونعرف جميعاً مثل هذه الحكاية؟ ربما عشناها بأنفسنا، ولكن هل نستطيع جميعاً أن نقدمها؟ هنا السؤال، هل نستطيع جميعنا أن نستثير اهتمام المتلقي في حكاية ما عرفناه أو ما عشناه؟

هل نملك معرفة أن نقول؟

هل نملك مقدرة أن نقول؟

هل نملك كفاءة أن نقول؟

هل نملك سلطة أن نقول؟

هذه المعرفة، وهذه المقدرة، وهذه الكفاءة هي للموهوبين، للمطلعين، للأذكياء، للعارفين، للمبدعين فقط، وهدى وسوف هي واحدة من هؤلاء، هي تلك العارفة والمثقفة والمطلعة والذكية، التي استطاعت بكفاءة ومقدرة كبيرتين أن تنقلنا في روايتها، من حالة عشق إلى حالة غدر، ومن حالة قوة إلى حالة ضعف، ومن حالة تنمر إلى حالة استعطاف، ومن حالة عبث إلى حالة تمسك عبر لغة شفافة، سهلة، مرنة، مطواعة، لا مكان فيها لاستعراض العضلات المعرفية والفذلكة اللغوية، والتعالي الثقافي ببساطة تكاد تكون عويصة، ووعرة المسالك تنقلنا من ضفة إلى أخرى: حيث الخراب، واليباب، والضباب، والضياع، وتهافت النفوس البشرية، حيث المواقف الإنسانية النبيلة، وحيث الفساد الذي ينهش قوام الوطن، حيث البطولة والاستبسال، وحيث التحاب والتواد مع الآخر، بغضّ النظر عن اختلاف المشارب والأيديولوجيات، إنها قصة وطن في هيئة عاشقة مغمورة إنها قصة عاشقة مغدورة في هيئة وطن خذله القاصي والداني لا تنفك «نسرين»، بطلة الرواية، تستلهم الأحداث وتتصدر قائمة الرواة عبر ذكريات ما تزال تعيش وقائعها في أدق التفاصيل، وعلى الرغم من شقاء نفسها المكلومة بحبيب تركها ورحل... إلا أنها ما تزال على قيد ذاكرة تعيش... وعلى الرغم من تعدد الأحداث وتشعبها في الرواية، إلا أنها تصب كلها تقريباً في سياق ذكرى حبيب نذل تركها ذات ليلة، وتزوج فتاة أخرى، لينضم معها ومع أسرتها إلى طبقة محدثي النعمة الذين عرفوا كيف يستثمرون في المال على حساب وجع الناس في تلك الحرب المجنونة التي شنت عليهم، وعلى بلدهم، حتى حولت كل شيء إلى خراب ويباب.

لقد سجلت «نسرين» وقائع تلك الحرب حسب زاوية رؤيتها المفعمة بحس الانتماء إلى الوطن، والشعور الإنساني النبيل، وهي ابنة أحد أفراد المؤسسة العسكرية، التي بكت أحبتها الذين ارتقوا شهداء، ها هي تستقبل في بيتها امرأة هربت من مناطق المسلحين بعد أن قُتل زوجها الإرهابي... ولكن، لا تذر نفس وزر أخرى، حسب قناعة نسرين البطلة، وأمام الواجب الإنساني تتهاوى الحدود، وتزول الخلافات، والأمر ذاته فعلته مع فيصل، الصبي النازح من حلب الذي أحبته، وتعاطفت معه، وفتحت له بيتها، وبادلته الوفاء بالوفاء.

نعم، نحن أمام شخصية مشحونة بالعواطف، مفعمة بالمحبة، تعرف كيف تعيش أيامها المثخنة بالجراحات، وتعرف كيف توصف، وتحلل كل ما يجري من وقائع أمامها، وكيف لا؟ وهي موظفة المحاسبة الملتزمة والدقيقة في عملها، وكاتبة السيناريو التي تخلق شخصيات على الورق، ولديها القدرة الفائقة على تجسيدها من لحم ودم أمام الكاميرا على يد مخرج وبمساعدة ممثلين نسرين لا تنفك تولد من خاصرة الذكريات المؤلمة شخصيات تتقاطع معها، وتشبهها مفطورة القلب ومفجوعة من قصة حب مثل هناء التي رحل حبيبها، وتفرغت لعملها وراء ماكينة (التريكو)، فكانت مثل نسرين، مبدعة في نتاجها، ولكنها مثقلة بالهموم بعد أن توفي أبواها.

وهنا نجد الكاتبة هدى تنثر حكاية الأهل والأبناء، والجحود والتهرب من المسؤولية، والاتكالية، ومنقصة العنوسة في المجتمعات المتخلفة هنا تستل هدى وسوف مبضعها وتبدأ بتشريح (الجسمان)، المدونة النص الذكوري المفتوح في المجتمع الشرقي، والمشرع على كل التأويلات التي تنفذ إلى طبيعة العقل العربي وتنقده.

من دون تباه، ومن دون تعالٍ، ومن دون لغة مثقلة بالشعرية والشاعرية، تستطيع هدى وسوف أن تشخص أمراض المجتمع، وتفسر مسوغاتها، وتؤول نتائجها، وتتمظهر تناصاتها المضمرة والظاهرة ببراعة وحذاقة...

إنها هدى وسوف في هذه الرواية... موسوعة في التشريح النفسي، وقد تبدو شخصياتها من وهم وخيال، ولكن هدى قادرة على خلق فضاء مشترك بينك، كقارئ، وشخصياتها، كحبر وحروف وورق... وقادرة هدى وسوف على جعلك تتنفس مع شخصياتها الهواء نفسه، وتشتم رائحة المكان نفسها، وتحيا الزمان نفسه.

(ما بيننا)، عالم من المصارحات، والمكاشفات، والبطولات، والانكسارات، والخيانات.

رواية (ما بيننا)، تنبض في السورية، وتغوص في تفاصيل النفس البشرية، ومن الصعب أن تتلمس (أنا) هدى وسوف في واحدة من شخصياتها... إن هدى تتمظهر في ثنايا الشخصيات جميعها، وتسمو في شخصية نسرين.

ضياء رقيق

قصة: هدى إبراهيم أمون

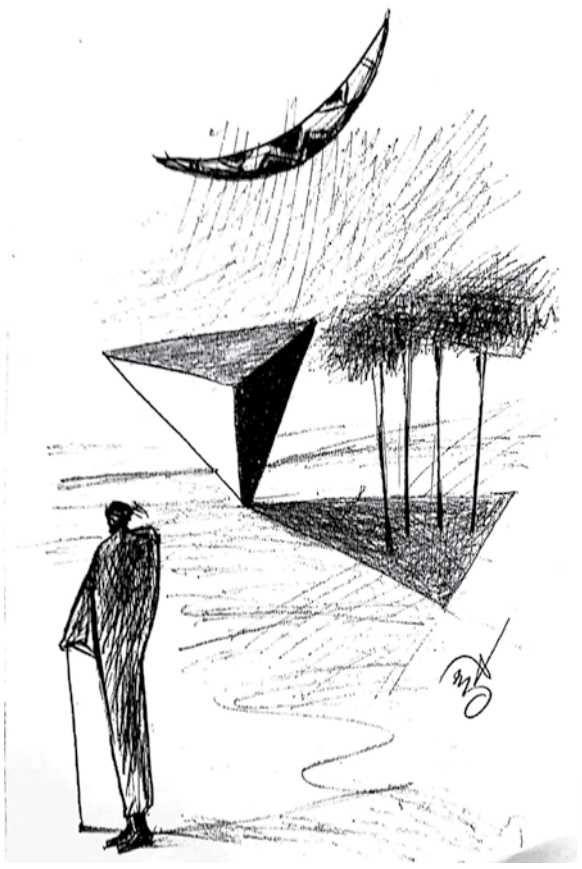

راقَبتهُ بصمت، جلس والقهوة في يده بهدوء.. تأمّل عبرَ النافذة شحوب أوراق الشجر..

ومع أبخرة قهوته، تناثرت الصور القديمة، كان في فِعاله الهدير وهي السكون، وحين يهمهم ويتخبط في أوحال انفعالاته، تتكاثف أمطارها، لتغسل ثنايا المواجع..

وتبلسم بابتسامتها جراح اللَّحظات لئلا يبتلَّ زغب العصافير بالألم..

وغزا أوردته الحنق، نثره لهيباً حولها، لم يقوَ وحشه الشرس على إنسانيتها المرهفة، وكلما مزقت همجيته ستار الألفة، سارع صبرها لرتقه، وطال نشوب النزاع بينهما، هو يرجو أن تظهر عليها معالم أذيتهُ، كي يزهو خبثهُ المخبوء في نواياه.. وهي تدعو الله أن يجعلها أكثر مقدرة على المسامحة والصبر إلى أن ينمو ريش عصافير حديقة العمر..

ويستمر الصراع الأزلي

الشرّ يريد لجبروته أن ينتصر

والخير يريد للطف الله أن ينتصر..

وتشرق شمس الآمال الطيبة من نور الإيمان بالله الذي هو الخير المطلق.. وتتغلغل أشعتها بين أغصان الشجر ومرح العصافير الذي يملأ قلبها بهجة وسعادة.

إفطاري مع مانديلا

قصة: محمد أفو

لا يؤمن الأفارقة بمناضليهم، ولا بمدارس نضالهم، فصورة تشي جيفارا أو فيدل كاسترو أو ماوتسي تونج، أكثر نصاعة في مخيالهم وأعمق رمزية من صورة مانديلا و أميلكار كابرال أو باتريس لومومبا أو توماس سانكارا.. إلخ.

وهذه معضلة نفسية يعانيها منها جيرانهم العرب، حيث يقف الانقسام والتشظي في طريق تشكل الأسطورة الوطنية أَو الناظم الثقافي الوطني.

إنها أزمة تتعلّق بضمور الذات النفسية إزاء تضخُّم في ذات الآخر ضمن مخيالنا المفاهيمي.

ليست هناك مصادفة يمكن أن تجرك جراً للكتابة أكثر من مصادفة لقاء حيٍّ مع مانديلا.

التوقيت: التاسعة صباحاً

المدينة: نواكشوط

المكان: لصر (محلات إصلاح السيارات).

قبل الموعد بيوم، سقطت سيارتي في حفرة، وهذا الحادث هو مجرد تأكيد قوي للمقولة المعروفة «المال يشبه أهله»، فالوقوع في الحفر ليس أمراً سيئاً كما يتصور البعض، إنه أمر اختياري نفعله ونحن في كامل غرورنا.

سألت أحد المارة عن سمكري فأشار علي بصبي غرٍّ لا يزال في كامل أهبته لتعلم الخداع، لكنه من أولئك الطيبين الذين يبتسمون في النهاية كمن يقول لك: «حسناً، لم أستطع خداعك لكن دعنا نتفق».

قمت بتأمين سيارتي بين يديه، لأننا كما تعلمون نعتقد أننا جميعاً مجرد لصوص.

بعد دقائق لاحظت محلاً مفتوحاً (غرفة من منزل) بجانب السمكري وقادتني خطاي إليه بفضول تام.

وقبل أن أكتشف زوايا المكان، طلبت قهوة بالحليب و«صاندويش صوص».

لم أفكر في الأمر، وهذا في اعتقادي راجع لقوة انقيادنا للذكريات.

فقد بدى المكان مألوفاً ومريحاً لي.

اتصلت بصديقي ووجهت إليه دعوة للإفطار معي هناك لكنه تحجَّج على عادة الطبقات البورجوازية عندما تتم دعوتهم لمناسبات أصدقائهم الفقراء.

أكملت وجبتي بشهية ودون خضوع لأي بروتوكولات، فأنا يقظ لصورة الإنسان المغلوب الذي لايقبل منه أن يفتح كامل فمه لالتقام لقمة محلية، بينما يفعل ذات الشيء لنهش طرف يسير من وجبة هامبرجر دون أن تطوله تهمة التخلف.

كنت جالساً على كرسي خشبي متهالك يتسع لعدة أشخاص، وأمدُّ رجلي على جالون أصفر فارغ (يعرفه الفقراء وتراه النخبة في الصور دائماً).

فعلت فعلتي تلك نكاية بمطعم شاطئي فاره كنت من رواده قبل أيام، (ما إن وضعت رجلي على الكرسي المقابل حتى تسللت سيده إفريقية هادئة لتطلب مني بأدب جم أن أزيح هذا الشيء عن مقعدهم الفاخر).

فجل تصرفاتنا هي ترجمات حية وواقعية عن أحقادنا الدفينة.

أما سيدتي هذه فهي أقرب إلى خالة الأم منها إلى مقدمة وجبات، فملامح وجهها محايدة تماماً ولا تحمل أي تعابير، فهي معتادة على ماتقوم به دون تأمل لوجوه ولا حضور رواد مطعمها.

سألتها عن فاتورة عبثي كاملاً فقالت بأنها 300 أوقية (قديمة طبعاً).

عجيب..

وجبة كهذه في مطعم فرنسي بتفرغ زينة تكلف 2500 أوقية تقريباً (ثمانية أضعاف).

كانت صورة مانديلا ملقاة على إحدى لفافات الصحف التي تستخدمها السيدة للف الساندوتش وقد حظيت وجبتي بالورقة التي تسبق صورة مانديلا.

كانت نظراته غاضبة ومستسلمة..

كل ما حدث كان يوحي بذلك أيضاً.

فها هو المطعم الفرنسي يستنزف جيوب الأفارقة بينما تحصل المكافحات الإفريقيات على النزر اليسير من جيوب أبنائهم.

ها هي الأمّ الإفريقية تجلس على قارعة طريق لا تعني لها صورة مانديلا أي شيء.

تتساءل نظراته عن ما آلت إليه نضالات الأفارقة في وجه الاستعمار واستنزاف خيرات إفريقيا.

حتى صورة مانديلا لم تسلم من زنزانة اللاتينية، فهي تحاصرها من كل الجهات.

سلَّمت السيدة نصف ما أدفع لفرنسا مقابل وجبة إفطار، وكانت ممتنة للغاية.

ودَّعتني بذات الابتسامة اللطيفة التي تودع بها النادلات رواد المطاعم الراقية، وهذه الخاتمة لم تكن عادلة رغم تطابق المشهدين.

تركت مانديلا غاضباً ومستسلماً في انتظار أن تمزق صورته على يد الإفريقي الكادح الذي سيتناول الوجبة التالية.

غرفة من أجل تلك الذكرى!

قصة: باسل مزعل

الوقت مساء، بعد أن أشعلت مدفأة الحطب، وجلست على الأريكة، تناولت من على المنضدة الصغيرة كوب الشاي؛ رائحته الخلابة جعلتني أغمض عيني كلتيهما لثوانٍ معدودات، ثم رشفت منه رشفة استرعى أذني إلى ما تلتهمه مدفأتي، وفي الوقت نفسه صوت الرياح التي تزداد سرعة! فتخيلتهما __ أي الرياح ونيران المدفأة __ يتصارعان في حلبة، واسم المباراة فصل الشتاء! بل خيل إلي أني قد سمعت استغاثة إنسان! ربما وقع شيء ما على رأسه؛ فقلت (لا هذه الرياح حتماً ستصير إعصاراً لا محالة!)؛ كدت أن أبالغ في تزيين كلماتي بما أنني أستاذ لغة عربية لكنني متقاعد! نهضت فجأة، اتجهت إلى مكتبتي؛ وعدت إلى موضعي وبيدي صحيفة ملفوفة بإحكام، وبعد أن بسطتها تناولت كوبي وشرعت أقرأ بصوت عال العنوان الذي قد تصدرها (إشارة (WOW) إحدى رسائل سكان الفضاء الكوني...التقط تلسكوب Big Ear)) الخاص بجامعة أوهايو الأمريكية موجة راديوية منبعثة من كوكبة القوس وكانت مدتها ٧٢ ثانية... و) بغتة انبعث من الجهاز المذياع الذي بجانبي صوت مذيع النشرة الأخبار __ وهذا من بعد أن أشغلته بيدي اليسرى خطفاً __ يقول بنبرة صوت مستسلمة لهذا الخبر المفاجئ (لذا فالعالم كله مشغول بأمر اكتشاف هذه الإشارة التي قد التقطها المرصد الفلكي...) قطبت حاجبي حتى إن عيني قد بدتا كنقطتين! ثم نهضت، ولكن هذه المرة يممت إلى النافذة، فأزحت الستار قليلاً؛ لم أرَ إلا مصابيح الشارع الصفراء، أكياس، أوراق جمة تلهو بها هذه الريح المجنونة كما تشاء! أما حاوية القمامة فتكاد هي الأخرى أن تنقلب؛ فقلت هازاً رأسي (يا لشدة هذه الرياح المسعورة! إنها تبعثر وتطير كل شيء.. كل شيء!) وبغتة توالت على باب غرفتي طرقات لا تحصى! تأففت، فكم أكره من يبدد تأملاتي! ثم فتحت الباب؛ فإذ بزوجتي شابكة ذراعيها على صدرها فقالت (اتصلت بك ولكن هاتفك مغلق! صدقني أن جارتنا أم أيهم أوشكت أن تأتي معي... ابنتها تود أن تسألك أسئلة في اللغة العربية.. لماذا؟ لماذا؟!.. ألم تعدني أنك لن تعود إلى هذه التي تسميها ذكرياتك... ذكرى. لا أعرف؟!). والآن قبل أن تسمعوا ردي لنرجع عدة خطوات إلى الوراء! هذه الغرفة مثلها مثل أية غرفة عصرية في أي بيت! كل ما في الأمر أنني استبدلت بالأثاث الحديث أثاثاً قديماً، تحديداً حقبة السبعينيات! وكأنني قد أجرتها لمخرج ما من أجل فيلمه! ولكن السؤال المهم.. المهم جداً لماذا؟! الإجابة هي ما قرأتموه في رأس الصفحة، هو ذاته ما حدث لي بحذافيره؛ بعضكم سيسألني عن صوت المذيع الذي صدر من المذياع؟ وهذه أيضاً إجابتها سهلة، منذ صدور ذلك الخبر خبر اكتشاف إشارة (WOW) عام ١٩٧٧ كنت قد سجلته على شريط (الكاسيت)، وكذا أمر الصحيفة! أما ردي على تعجب زوجتي؛ فأنني هززت رأسي قائلاً ببطء، قامعاً دموعي؛ لذا قد أغمضت عيني (ولكنها ذكرى لا تنسى.. بل تلكم الأيام كلها لا تنسى.. ولن أنساها ما حييت.

الكرة الزجاجية

قصة: روعة سنوبر

وسط الزحام، راح الطفل الصغير يجوب في المدينة الكبيرة، سائراً على قدميه، واضعاً يده فوق عينه المصابة، محاولاً إخفاء تلك الفجوة العميقة، على حين كانت أعين المارّة تنظر إليه بفضول، راحت الأفكار تطارده في كل خطوة، وتزجره دونما رحمة.

صوت أبيه الغاضب، الذي طرده من المنزل، حتى عثوره على عمل يعيل به نفسه، ويساعد في نفقات البيت، صورة أمه المسكينة، وبكاؤها المرير، التي طالما تحملت الإهانة والضرب والشتائم من قبل والده، لأجل صغارها، فليس لهم معيل سواه، وليس ثمّة مكان آخر يذهبون إليه.

كان أكبر إخوته سناً، وأقدرهم على العمل، على الرغم من إصابته البالغة، وفقدانه إحدى عينيه.

فقدَ عينه إثر إصابتها في معمل للنسيج، حيث كان يعمل، جرّاء دخول قطعة من الآلة، أودت بتلك العين من دون انتباهه، ولم يستطع الأطباء وقتها تلافي استئصالها، بسبب الضرر البالغ، الذي سببه الجرح العميق.

أكمل الطفل ذو الإثني عشر عاماً سيره، باحثاً بين اللافتات المعلقة، لعلها ترشده إلى طبيب للعيون، يقبل استقباله.

لقد أمضى وقتاً طويلاً في محاولاته، حتى أنهكه التعب، وشعر برغبة في البكاء.

دخل إحدى العيادات، متابعاً تكرار السؤال نفسه، ولكن هذه المرة، كانت الدموع تسبق عينه اليتيمة.

سمع الطبيب بكاء الطفل وتوسلاته، فقد هزّت مسامع الحاضرين، وتحولت نظراتهم المشدوهة، إلى الكثير من الفضول والشفقة.

توسل الطفل إلى السكرتيرة، بأن تسمح له بالدخول إلى الطبيب، بضع دقائق فقط، وحين دخلت لتخبره، كان مشغولاً بمعاينة أحد المرضى، انزعج الطبيب بشدّة، وطلب منها أن تصرفه، فالعيادة مزدحمة، ولا وقت لاستقبال المتسولين.

لم يستطع الطفل تمالك نفسه، حين أخبرته السكرتيرة بأن ينصرف، توجه مباشرة إلى غرفة الطبيب، الذي غضب بدوره وقام بطرده، جرّاء اقتحامه غرفته بهذه الطريقة، إلا أن الطفل راح يبكي ويتوسل، لكن الطبيب طلب منه أن يخرج، وإلا طلب له الشرطة.

عندها تهالكت قوى الطفل من شدّة الانفعال والخوف، فلم يجد نفسه إلا راكعاً على ركبتيه، يحاول التمسك بساق الطبيب مقبّلاً إياها، متوسلاً، وسط نوبة من بكائه الهستيري.

عندها أشفق قلب الطبيب، وبدأ بلوم نفسه.

انحنى برفق، وساعد الطفل المرتجف على الجلوس، معتذراً من مريضه بالسماح له ببعض الوقت، لينظر بأمر الطفل.

هنا تغيرت لهجة الطبيب، وراح يتحدث بنبرة أب عطوف.

اهدأ يا بني، وارِ لي ما هي قصتك.

هدأت ثورة الطفل بعد أن أنهى بكاءه، وأصبح قادراً على التحدث، أخرج من جيبه كرة زجاجية، ومدّها إلى الطبيب.

عندها، دُهل الطبيب، وشحب وجهه، لم يكن بحاجة إلى سؤال الطفل عن الكرة الزجاجية، فهو يعرفها جيداً.

أرجوك أيها الطبيب، لم يقبل أيّ من الأطبّاء استقبالي، ظناً منهم بأنني متسوّل، ولا يرافقني أحد والديّ، بالإضافة إلى أنني لا أملك المال، لقد سقطت عيني الزجاجية هذا الصباح، حين كنت أبحث عن عمل، تعثرت ووقعت، ولا أجرؤ على إخبار والدي بذلك، فهو لن يرحمني، بالإضافة إلى أنه لا يملك أجرة الطبيب، ومن حسن حظي أنها ما تزال سليمة ولم تتأذّ، فهلّا أعدتها إلى مكانها، دونما تكلفة، وعاود الطفل البكاء.

دمعت عينا الطبيب، وهو ينظر إلى اليد الصغيرة التي كانت تقبض على العين الزجاجية بحرص، بماذا سوف تفيده تلك العين التي لا تستطيع أن ترى، فلم تكن سوى مظهر جمالي ليس إلا، كي لا يشعر الطفل بالنقص.

أمسك الطبيب الكرة، ونهض محتضناً ذاك الطفل، مقبلاً جبينه الصغير.

غادر الطفل عيادة الطبيب، مبتهجاً بعودة عينه إلى محجرها، متابعاً سيره في رحلة البحث عن عمل جديد، ولكن تلك الذكرى، جعلت أثرها في قلب الطبيب، كفجوة لن يتمكن من ملئها، كما فعل بعين الطفل.

قصيدتان في الضياع والاحتراق

شعر: حيان محمد الحسن

ضيّعتُ عمري في مداها

تلك الجميلةُ
كمْ تملّكني هواها
كم تمادتْ
في عروقي
في مدايَ
يا لوعةً قدْ عشتها
ضيّعتُ عمري
في غواها
في هواها
في مداها
حلمٌ حَلَمْناهُ
ونهرعُ
كيفَ يرسمهُ كلانا؟
كان شهداً
كان سحراً
يا رضاها
يا روعةَ الأحلامِ
ما كانت سواها
ولكمْ رحلتُ
وكم مضيتُ إلى البعيدِ؟
وأُوصدتْ للريح أبوابٌ
وتاهت في الغيابِ
فضلّ قلبي
في الهوى العالي
وتاها
والآنَ أسأل هل أراها؟
هيَ عادةُ القلبِ المسافر
في الغرامِ
وفي الجمالِ
في الجنونِ
وكم سأصبرُ عنْ جفاها؟
من يخبرُ الريحَ الشرودَ
بأنني
ضيّعتها ووجدتُها
وفرشتُ بالرّيحانِ
والوردِ الجميلِ
دروبها
وحصدتُ أشواكَ الهوى
وصرختُ يا روحي فداها؟
عمداً أضاعتني
وضيّعني هواها

ويصفعني مدايا

ويلاه ما أقسى المسافات التي
ما بيننا!
ما أقفر الدرب المعمّدَ بالجفا!
ما أثقل الدنيا!
وما أحلى الخطايا!

لكأنني فيها أسيرُ على
مُدى حتفي
وجرح الروح
يفضحني
ويغبطُني أسايا

أخفي دموعي حرقةً
والوقتُ يخنقني
بإيقاعٍ مقيتٍ
توغلُ الأوجاعُ في صدري
تُعرّش في الحنايا

ما أبعدَ الحلمَ الحَرونَ!
وكلّما
منه دنوتُ مضى يؤرقني
ويوصد بابَهُ ونوافذَ الذكرى
فابكي هائمَ النجوى
وينزفني شرودي
مفرد السلوى
ويصفعني مدايا

أنا تائهٌ وحدي هنا
في رحلة الحزن
الممضّ
أسير أستجدي
على غير الهدى منّي
أضعت مع الليالي
وجهتي
أو مبتغايا

إذ أبعدتني في الهوى
تلك الدروب
صرختْ تهتُ
وويحه ردّ الصدى
وكأنهُ وقعُ الردى
يرمي بقلبي في الزوايا

وبقيت متّكئاً على ظل
انكساريَ
والمسافات امتدادٌ لي
لآهاتي هنا
وكأنني وحدي حبيس مدى المتاهاتِ ...
الجنونُ عقيدتي
إذ ضقت ذرعاً بي
بكلّ جهات دنياي الرتيبة
ها وحيداً مفرداً
وأجرّ ذيلَ الخيبة الكبرى
هنا
والأمنياتُ البكر
في صدري عرايا

يا أنت يا خدراً يسافرُ في عروقي
بات يثملني
ويا زمناً يدمّي جلدَ أيامي
أزيحيها ستائرَ ذا الشحوب
الفجّ عن ليلي
دعيني كي أرتلها بصمتٍ
أنت فاتحةُ احتضاري
آه يا زمن المجونِ
خذلتني
وتبرّأت مني يدايا

صدمة

شعر: إباء فاروق هواش

نام على شاطئ الأمنيات.. أيقظَتْهُ صفعات الأمواج
غشاوة
جُلّ حديثه عن الخير والجمال..
تعلو وجهه ابتسامة لُطف وحياء..
يعامل الناس برفق وطيبة حدَّ السذاجة
إلى أن جاء يوم النّحس
وقرّرَ أن يمسح نظارته
رحيل
بابتسامة متواضعة قابل قسوة الأيام
أحسنَ إعداد حقائبه؛ وضع كل شيء في مكانه الحقيقي..
استعداداً لسفر يجهل ميقاته..
وجدوه مبتسماً ساعة رحيله

حيرة وحنين ..

شعر: عبد الرحمن حماده

لك الضفائر والأشعار والمقلُ
يا سيد الشوق فيك الحب والأملُ
لك الحنين وهذا الشوق أجمعهُ
قهر تضيق على أعتابه الحيلُ
أودعت روحي بباب الليل أغنية
ما زال يبكي على أوجاعها زحلُ
عينان للدرب كالأشباح شاخصةٌ
من يقرب الدارَ والأشباحُ تمتثلُ
لو تحمل الروح في أصدائها حلماً
أن الحقيقة في لقياك تكتملُ
نفسي تؤوب إلى لقياك في عجل
ثم تعود إلى الهجران تحتملُ

فلسطينيّ

شعر: أحمد بوبس

فلسطينيّ... فلسطينيّ.....ولو قطعوا شراييني
ولو شربوا دمي نفطاً.....فماء القدس يكفيني

××××

فلسطينيّ في أرضي.....فلسطينيّ في عرضي
فلسطينيّ.. تاريخي.....ثراها سوفَ يُؤويني

××××

فلسطينيّ... لا أنكرْ.....فلسطينيّ.. بلْ أفخرْ
وفي قلبي.. ملامحها.....وتسري في شراييني

××××

فلسطينيّ... أكتبها.....على هاماتِ أولادي
فلسطينيّ... أعلنها.....على سمعِ الملايين

××××

فلسطينيّ.. لن أرحلْ....ولو ساروا على جسدي
فأصلي.. راسخٌ فيها.....كجذر النخل... والتين

××××

فلسطينيّ... لو خانوا.....فلسطينيّ... لو هانوا
فلسطينيّ... أعرفهم.....أباحوا دمي.. وباعوني

محفظة التاريخ

(بمناسبة القمة الأدبية العربية الإفريقية في نواكشوط من 04 إلى 07 ديسمبر 2023)

شعر: القاضي محمد عينين

ارْفَعْ لِوَاءً لِجَمْعِ السَّادَةِ الأُدَبا
الفَائِضِينَ بِمَدٍّ يَرْفَعُ الرُّتَبا

يَا مَنْ بِهِمْ هَتَفَتْ لِلْمَجْدِ أَوْرِدَةٌ
لَها احتفاءٌ بِأَعْلَى قِمَّةِ النُّقَبا

وَيَا جُمُوعاً تُدِرُّ المِسْكَ طِينَتُهَا
عَبْرَ الدُّرُوبِ وَكُلُّ العِطْرِ قَدْ نَضَبا

آخَى أَوَاصِرَكُمْ ثَدْيُ الدَّوَاةِ وَقَدْ
أَجْرَى مِنَ الحِبْرِ تِرْيَاقًا بِمَا كَتَبا

لَمَّا ارْتَوَيْتُمْ رَحِيقاً مِنْ مَنَابِعِهِ
أَفَضْتُمُ الشُّهْدَ أَنْهَاراً لِمَنْ رَغِبا

فِي رِحْلَةِ العُمْرِ لَمْ تَأْلَفْ مَشَارِبُكُمْ
إِلاَّ الصَّفَاءَ لِفِكْرٍ يَرْفَعُ العَتَبا

طَوَّعْتُمُ الحَرْفَ لِلتَّارِيخِ مَحْفَظَةً
يَسْعَى بِهَا الأَمْسُ لِلأَيَّامِ مُنْتَدَبا

سَقْفَ الأَمَانِ رَفَعْتُمْ بَيْنَ مَبْدَئِهِ
وَالمُنْتَهَى قِمَماً رَقَّتْ لَنَا الأَدَبا

فِي شَاهِقِ اللَّفْظِ وَالآمَالُ مُورِقَةٌ
أَرَقْتُمُ الفِكْرَ فِي مَكْنُونِهَا قِرَبا

هَلْ يَنْبُعُ المَاءُ إِلاَّ مِنْ مَنَابِعِهِ
وَمَا أَظُنُّ بِغَيْرِ الصَّخْرَةِ الذَّهَبا

كَانَ التَّرَقُّبُ بِالبُشْرَى يُهَدْهِدُنَا
يُصْلِي اللِّقَاءَ بِشَوْقٍ كُلَّمَا اقْتَرَبا

كُلُّ المَجَالِسِ قَدْ أَصْفَتْ لِطَلْعَتِكُمْ
شَرْحَ الصُّدُورِ بِوَجْهٍ ظَلَّ مُرْتَقِبا

للهِ كَمْ دَخَلَتْ شَمْسٌ يُسَلِّطُهَا
إِصْبَاحُ لَيْلَتِكُمْ كَي يُبْهِجَ الأَرَبا

إِنَّا بِرُؤْيَتِكُمْ فُزْنَا لِتُسْعِدَنَا:
أَخاً وَأُخْتاً وَأُمّاً زَغْرَدَتْ وَأَبا

أَهْلاً بِمَقْدَمِكُمْ يَا حَامِلِينَ لَنَا
عِزّاً وَفَخْراً وَتَشْرِيفاً وَمَحْضَ إِبا

أَهْلا بِكُمْ عَمَداً تهنا بِهِ مَدَداً
مَرْحَى بِكُمْ قَلَمًا صَافٍ فَلاَ نَضَبا

أَهْلاً يَضِيقُ بِهَا المَعْنَى مُحَمَّلَةً
حَلِيبَ نُوقٍ وَأُخْرَى تَحْمِلُ الرُّطَبا

هُنَا بِشِنْقِيطَ أَرْضُ العِلْمِ مُنْصَلِتَا
يُجَرِّعُ الجَهْلَ فِي أَصْقَاعِهَا النَّصَبَا

كَبِيرُهَا غَدِقٌ فَاقَ السَّحَابَ ندى
صَغِيرُهَا غَرِقَتْ من جُودِهِ النُّجَبا

كَأَنَّ مَا الضَّيْفُ فِي أَرْجَائِهَا مَلِكاً
لاَ يَختشي ظَمَأً فِيهَا وَلاَ سَغَبا

مَرَاتِعُ الكُلِّ إِنْ حَلُّوا تَبَشُّ لَهُمْ
بِظِلِّ نَخْلٍ وَرَوْضٍ يُثْمِرُ العَجَبا

يا أنت

شعر: رندة حلوم

على عجلٍ رتبّت أوراقي ..

ولكن مبعثرة أنا ككل النساء اللواتي بقين على مقعد الحافلة

مضيت دون طريقٍ على عجلٍ استقلّت عيوني السحاب ...

قلبي إلى عينيكَ غادرني كنجمٍ، ما عاد في الأفق ما يغري

انحنائي، وأنا جُمعت، وأنا بُسطت

وأنا قُسمت على أصقاع صدرك،

فاستقام لأجل أصابعي محيط خصر الدائرة ..

اليوم بين أحشائي أراكَ ككلّي، تحتوي وجهي ابتسامة ثغرك المجنون، وتعصف بي أشتات عطرك، لما تناور كفك وجهي وتمرّ إصبعها على وجع الشفاه العاقلة.

يا أنت!

يا أنت!

أحببتك قبل، وأحبّك الآن، وبعد الرّحيل

أحبّ التّصوف في دهشة اللّقاء الأخير، وما بعد اللقاء الأخير، وما بين بين النهر والضفة وحكايات الصخور لوجه نرسيس ..

وأحبّ السّمو إلى نظرتين، إلى قبلتين، إلى رشفتين، وأنت الأمير بكل بلادي تطوف جنودك والحاشية، وتلثم من روحي هذا الخشوع، وهذا التّماهي مع زفراتك الراجلة، بأجنحة وجدك تخطو إلى بوح الشّفاه...

بقايا ...من بقايانا

على هامش الوليمة

شعر: عاطف إبراهيم صقر

متيقّنٌ أن لا مكانَ لزائرٍ
أو عاشقٍ أو حالمٍ
لا مقعدٌ
لا كأسَ أخرى للشرابِ ولا حساءْ
الكذبةُ اكتملت؛ فألوانٌ وتدفئةٌ ومائدةٌ تَمورْ
وسحابُ أنفاسِ الرياءِ وقهقهاتُ المُوسرين - المُعسرينَ
...
وما يُدار وما يدورْ ..
متيقنٌ ألاّ مكانَ لأغنيةْ
لا عينَ دارتْ في مداها الأمنيةْ
كتَمَ الجميعُ لُهاثَهمْ
وبغفلةٍ عن وسْوسَاتِ أكفّهمْ
أرخوا ستارَ جلودهمْ
وتكبّدوا نخبينِ: للماضي المبلّل واحدٌ ..
ونظيرُه لغدٍ يباسْ
والرمشُ أثقلَه التثاؤبُ والطوافُ .. ولا نعاسْ!
وعلى تهالُكِ ريشتينِ وإصبعينِ علا أنينْ؛
أنقرْ، فللإيقاع -كالأنخابِ- مفعولٌ سريعْ
أنقرْ، وقلْ للغيبِ ماذا تشتري؟

أو ما الذي استبقيتَهُ ... حتى تبيعْ؟
ما نفعُ كلِّ نماذجِ «الكرتون» إن غابَ الشذى؟
ما نفعُ كلِّ فصولِنا إنْ كانَ ينقصُها الربيعْ؟
أنقرْ على إيقاعِ خطْواتٍ نسيتَ رنينَها
أنقرْ على ثنياتِ خصرٍ ما تمايلَ ذاتَ نبضٍ واشتكى
قبلَ الوداعْ
أنقرْ على إغواءِ ثغرٍ كانَ أدنى من رضابكَ قبلَ أنْ
يمضي الشراعْ
أنقرْ على وثباتِ نهدٍ كانَ أشهى من تقاسيمِ الندى ..
ثمّ انثنى ...
وأضاعَ كوكبَه وضاعْ
أنقر فللإيقاعِ -كالأنخابِ- مفعولٌ حزينْ
هذا الرداءُ يُغيظني!
وتغيظُني تلكَ العيونُ المطفآتْ
ما كلّ موسيقا تثيرُ لواعجي
ما كلّ ما قد فاتَ ماتْ
السهرةُ اكتملتْ وأغنيةٌ هنا
لكنَّ أغنيةً هناكْ
والنجمُ -كلُّ النجمِ- يزعُم أنّ صاحبَهُ يراقصُ ضوءَهُ

فيما عداكْ
اللعبةُ اكتملتْ ولكنْ لا فريقَ ولا فريقْ
الخاسرون يجرجرونَ حنينَهمْ، ومنصةُ التهريجِ خاويةٌ،
وشبّاكُ التذاكرِ مقفرٌ، والنجمُ خانتْه الطريقْ
ما للغريقِ بسفْرِه من صاحبٍ -يا صاحبي-
إلاّ الغريقْ
في حمأةِ الفرَحِ الرماديِّ المريبْ
ما من مكانٍ للغريبْ
حلمٌ تقرّتْهُ يداكَ .. فلا تراهُ ولا يراكْ
خلفَ النوافذِ والحكايا المُسْدلةْ
خلفَ الصقيعِ وخلفَ أسوارِ القلوبِ المهملةْ
هامتْ بقايا غربتي
وانفضَّ مجلسُ وحدتي
والرمشُ أثقلَهُ التثاؤبُ والطوافُ .. ولا نعاسْ!
وبجعبتي نخبانِ:
للماضي المبلّلِ واحدٌ
ونظيرُه لغدٍ يباسْ

معارض متنوعة لإصدارات اتحاد الكتّاب العرب

بالتعاون مع الاتحاد الوطني لطلبة سورية وجامعتي دمشق وحماة، وبحضور عدد كبير من الأدباء والمثقفين والمهتمين و حشد من الطلاب والعاملين في كليتي الآداب في الجامعتين، نظم اتحاد الكتاب العرب معرضين لإصداراته من الكتب المتنوعة في حرم كلية الآداب في المحافظتين.

وقد عمل الاتحاد على تزويد المعرضين بعدد كبير ومتنوع من الإصدارات بحسومات كبيرة، وذلك تنفيذاً لخطة طموحة يحاول اتباعها في سبيل إيصال الكتاب الورقي بسعر يراعي الظروف الاقتصادية الضاغطة ويقدم الفائدة لكل راغب بالقراءة، وإيماناً منه بأن المكان الطبيعي للكتاب هو بين أيدي القراء وليس في المستودعات.

تألقت في المعرضين مجموعة كبيرة من إصدارات اتحاد الكتاب العرب، من مختلف الأجناس الأدبية والإبداعية، وسيستمر الاتحاد في تنظيم معارض للكتاب على امتداد جغرافية الوطن انطلاقاً من إيمانه بأن الجيل الجديد يرغب في القراءة ولديه شغف بالكتاب الورقي، وأن الكتاب كان وسيبقى خير جليس.

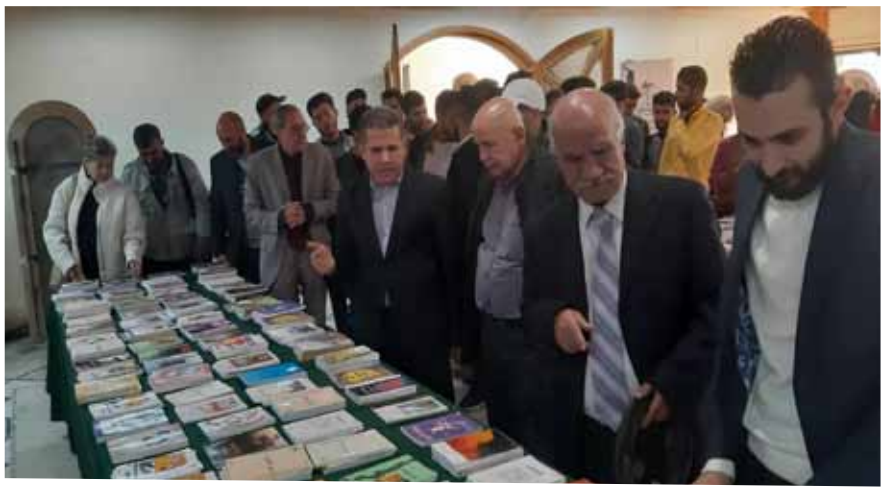

«فلسطين في عيون أطفالنا»

تحت عنوان «فلسطين في عيون أطفالنا»، وبحضور رسمي وشعبي واسع أقام فرع حماه لاتحاد الكتاب العرب بالتعاون مع فرع حماه لطلائع البعث ومديرية الثقافة في حماه مهرجاناً إبداعياً احتضن الأدباء الصغار من براعم الطلائع.

شارك في المهرجان العديد من الرواد و أصحاب المواهب الطفلية من مختلف نواحي ومناطق المحافظة، حيث شكلت الفعاليات لقاءً جمع بين إبداع الطفولة وبين الأدباء المبدعين، في مشهد رائع يؤكد ضرورة تكامل الأجيال والتواصل فيما بينها.

يأتي هذا المهرجان كواحدة من ثمار العلاقة التشاركية الفعالية بين الاتحاد ومنظمة طلائع البعث بهدف تعزيز الانتماء للقضايا العادلة والتجذر بتراب الوطن والتمسك بالثوابت الوطنية والقيم الإنسانية النبيلة.

صدور الجزء الثالث من «تاريخ المسرح»

ضمن إصدارات وزارة الثقافة- الهيئة العامة السورية للكتاب صدر كتاب «تاريخ المسرح - الجزء الثالث... «المسرح الإنكليزي، الرومانسية، علم الإخراج») للمؤلف فيتو باندوليفي، وقد عرَّبه الأب إلياس زحلاوي.

يؤرخ الكتاب عبر أربعة فصول مصنّفة ضمن بابين، تاريخ الحياة البشرية والمجتمعية، مُسلطاً الضوء على المسرح الإنكليزي، الذي يتناول أعمال روّاد الكتّاب المسرحيين الإنكليز في القرن السابع عشر والعصر الإليزابيثي مثل شكسبير ومارلو وشيريدان.

كما يتطرق الكتاب إلى الرومانسية الألمانية وتعاليم ليسنغ في مسرح هامبورغ الشهير، وأهم الأعمال المسرحية ونبذة عن حياة أشهر الكتّاب الألمان مثل غوته وكوبو وراينهات وميرهولد وبريخت.

يضيء الكتاب أيضاً على علم الإخراج المسرحي وأهمية العرض ونشأته الجمالية مُتأثراً بالديكور والصوت وتقنيات خشبة المسرح، ويستعرض في الوقت نفسه فِرقاً مسرحية ذائعة الصيت وأعمال الكاتب المسرحي والموسيقي فاغنر.

يختتم الكتاب بملحق صور عن أهم الأعمال المسرحية في القرن السابع عشر.

على أرض القنيطرة..
«الجولان بين السينما والرواية»

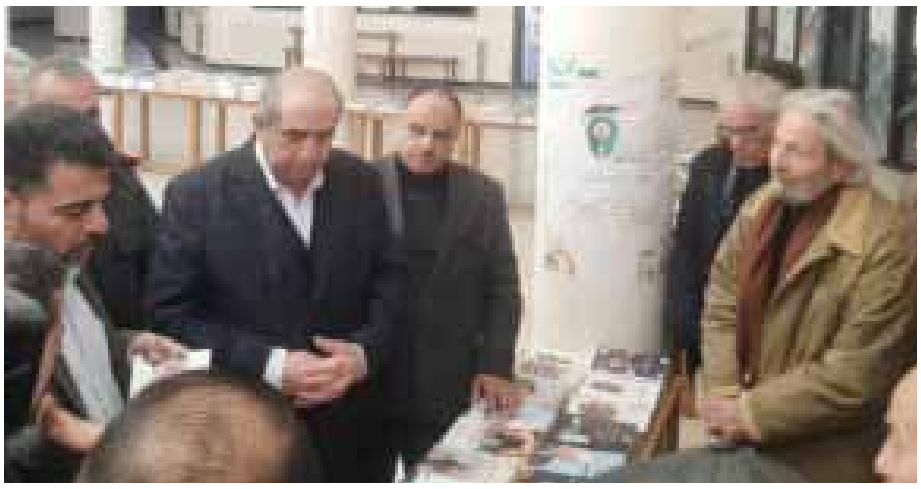

نظمت جامعة دمشق فرع القنيطرة بالتعاون مع الاتحاد الوطني لطلبة سورية واتحاد الكتاب العرب فرع القنيطرة فعالية ثقافية بعنوان «الجولان بين السينما والرواية»، وذلك على خشبة مسرح كلية التربية الرابعة بالقنيطرة بمدينة البعث.

وتضمنت الفعالية عرض فيلم "القنيطرة 74"، وتوقيع رواية "إعلانات عن مدينة كانت تعيش قبل الحرب" الصادرة في طبعتها الثانية عن الاتحاد للروائي والسينمائي محمد ملص، وإقامة معرض للكتاب.

تدور أحداث الفيلم حول عدد من الشخصيات الحقيقية التي بقيت تعيش في مدينة القنيطرة أثناء الاحتلال الإسرائيلي للمدينة والمعاناة اليومية التي عاشوها وخاصة بعد تدمير المدينة بشكل ممنهج من قبل الكيان الغاصب وتهجير السكان من منازلهم بالقوة.

وثقت مشاهد الفيلم بالصورة حجم المعاناة الإنسانية لأهالي الجولان العربي السوري المحتل والتي تمثل فيها مدينة القنيطرة أنموذجاً عن تشتيت أفراد الأسرة الواحدة.

وقد تحدث ملص عن الفيلم الذي يعود للعام 1974، وهو من إنتاج المؤسسة العامة للسينما، ويركز على قضية الجولان المحتل وطرد الأهالي من منازلهم وإصرار شخصيات الفيلم على حقهم وإرادتهم بالعيش في مدينتهم الجميلة. داعياً جيل الشباب للصمود واستكمال مسيرة الأهل بالتمسك بالأرض والعمل على تعزيز الثقة بحتمية زوال المحتل وتحرير الأرض.

وأكد د. محمد الحوراني رئيس اتحاد الكتاب العرب على أن أهمية هذا الحدث تأتي من كونه محاولة أو رغبة حقيقية من الاتحاد بأن يكون الفعل الثقافي حاضراً بقوة في القنيطرة ولا سيما لدى الأطفال والطلاب، فهناك محاولة يقوم بها العدو الصهيوني سواء من خلال وسائل إعلامه أم وسائل التواصل الاجتماعي وأيضاً ما يقوم به على الأرض لتزييف المواقع وكل ما يتعلق بالقنيطرة، ولذلك يعد عرض فيلم القنيطرة ٧٤ أمراً بالغ الأهمية.

وأشار عضو المكتب التنفيذي لاتحاد طلبة سورية عمر جباعي إلى أن هذه الفعالية ليست الأولى من نوعها ولن تكون الأخيرة، وهي تقوم على ربط الماضي بالحاضر لأن هذا الجيل يحمل ذاكرة ولا يمكن أن ينسى ما عاناه الوطن من استعمار واحتلال وبقي متشبثاً بمقاعد الدراسة خلال أعوام كثيرة من الإرهاب، فذلك يؤكد أن الجيل لن ينسى الجولان برغم جميع المحاولات المستمرة التي لا يكل منها العدو الإسرائيلي لتهميش قضيتنا الرئيسية.

بدوره وضح عميد كلية الحقوق الثالثة في القنيطرة د. عيسى الديب إلى أن فيلم "القنيطرة٧٤" يجسد رسائل المعاناة التي عاشها أهل القنيطرة أثناء تهجيرهم من الكيان الصهيوني عقب نكسة ١٩٦٧، وقد حمل الفيلم العديد من مشاعر الحنين، كما ركز على الهوية السورية لأهل الجولان وعدم نسيانهم لوطنهم.

دور النقد في دعم المنظومة الثقافية الوطنية

بالتعاون مع فرع إدلب لاتحاد الكتاب العرب أقام المركز الثقافي في أبو رمانة ندوة بعنوان «دور النقد في دعم المنظومة الثقافية الوطنية» شارك فيها إعلاميون ونقاد وباحثون لتسليط الضوء على منهجية النقد ودوره الثقافي.

وقد بين الناقد د.غسان غنيم رئيس فرع ريف دمشق لاتحاد الكتاب العرب أن النقد جملة متكاملة له قوانينه الخاصة به يتفحص ما قاله المبدع ويكشف مناطق الإبداع العصية وما خفي من دلالات وله مشروعية التعامل مع النصوص الأدبية وفهم أبعادها الجمالية والموضوعية واحتواء ما أنتجته البشرية من فكر وثقافة وربما علم أيضاً.

ورأى رئيس قسم الثقافة في جريدة الثورة الإعلامي عمار النعمة أن الإعلام الثقافي يجب أن يختص بما يقوم به إلى درجة معرفة النقد، فالنقد ضرورة من الضرورات والمنتج الإبداعي هو حالة من الوعي واللاوعي وله مقاييس وأصول فلا بد من إدراكها إعلامياً بشكل إيجابي مبني على أسس صحيحة.

وأوضح القاضي المستشار الباحث ربيع زهر الدين أن للنقد مجالات واسعة، وله مساهمة في تطوير الفكر الإنساني وتطوير الأفكار الأدبية والعلمية وهو أساس في جميع المجتمعات والأعراف ويتناول مختلف القضايا والحالات الإنسانية ولا يقتصر على الأدب.

أدار الندوة الشاعر محمد خالد الخضر معرفاً بالنقد وما قام به من سلبيات خلال الحرب على سورية وعدم قيامه بدور إيجابي في محاربة تخريب الثقافة والليبرالية الحديثة، داعياً لانتقاء نقاد حقيقيين في تقييم الثقافة وعدم الدفع بأي جنس أدبي إلى الإعلام أو المنبر إلا إذا أثبت النقد صحته.

الأسبوع الأدبي

12

العدد: «1847» الأحد

2023/12/17م - 4 جمادى الآخرة 1445هـ

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن
تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق
أسست وصدرت ابتداءً من عام ١٩٨٦

المديـر المسـؤول:
د.محمد الحوراني
رئيس اتحاد الكتاب العرب

رئيـس التحريـر:
أ. توفيق أحمد

مديـر التحريـر:
د.خلدون صبح

أمينا التحرير:
عيد الدرويش، أوس أحمد أسعد

هيئة التحرير:
د.أسامة الحمود- أ.رائد خليل -
د.ماجدة حمود - د.نزار بريك هنيدي -
أ.هيلانة عطاالله

الإشراف الفني:
نضـال فهيم عيـسى

رئيس القسم الفني:
فاطمة الجابي

للنشر في الأسبوع الأدبي:

يراعى أن تكون المادة:
- غير منشورة ورقياً أو عبر الشابكة.
- منضدة ومراجعة ومدققة مع مراعاة التشكيل حين اللزوم، وعلامات الترقيم.
- ألا تتجاوز المادة المرسلة /800/ ثمانمئة كلمة.
- يرفق مع المادة CD أو ترسل عبر البريد الالكتروني alesboa2016@hotmail.com
- يرفق مع المادة الصور المناسبة إذا لزم الأمر.

المراسلات

الجمهورية العربية السورية - دمشق -ص ب (3230)
هاتف 6117241-6117240 -فاكس 6117244 هاتف الاشتراكات 6117242
جميع المراسلات باسم رئيس التحرير.

www.awu.sy
E-mail : alesboa2016@hotmail.com

الآراء والأفكار التي تنشرها الصحيفة تعبر عن وجهة نظر كاتبها

كتب: توفيق أحمد

دمشقُ..
تَعْقِدُ قِرانَ التاريخ
على موسيقا أناشيدِها

أيّتها الماكثةُ هناكَ غربيَ المتوسط
يتَّهمونَكِ بالتَّرفِ اللاّهي
بينما قصائِدُكِ تملأُ الثقوبَ المُنْتَهَكَةَ
في أرواحِ المحتاجين
جَمالاً ومَنْحاً ومَطَراً في اسْوِدادِ قَحْطٍ
كما وأنَّ أعصابَكِ مليئةٌ بأوجاعنا
لذلك أسميتُكِ أميرةَ المياه
ولكن لماذا تَتَّهمينَ ريما بإغلاقِ المطارات
ومصادرةِ أحلامِ المسافرينَ
في وقتٍ تَقْتَنِعُ فيه ريما
ببعضِ أقراصِ الفلافل كَفافَ يومِها
ونترقَّبُ هي وأنا
أَنْ تَجْمَعَنا مائدةٌ،
تَليقُ بالعصافيرِ مكسورةِ الخاطر،
هي لا تملكُ سوى إبائها،
وتَسامي كرامتِها على قليلِ القليل..
وأنا الرجلُ الذي كان (حاتميّاً)
وأصبح (جاحظياً)
عزيزتي أميرةَ المياه
تكفينا السماءُ التي تُخَيِّمُ فوقَ أرضنا
إذ إننا نَعْتَقِدُ
أنَّ كُلَّ المَجَرَّاتِ تَرْقُدُ فوقَ جبالنا بقليل
وبرغم كُلِّ ما يَرْمونَنا به من جِراحٍ بالغةٍ
فإنَّ حساسينَنا ما زالت تشدو على الأغصان
لا عُذْرَ لِمَنْ غَفلَتْ بصيرتُهُ
عَنِ ارتيادِ روحِ الحياة..
يُضرمونَ النارَ..
ونزرعُ في ما تبقّى ورداً للمستقبلِ الباهتِ
لا أَبْجَدِيَّةَ لِمَنْ لا يُتْقِنُ لُغَةَ الأرضِ
ولا ثيابَ لِمَنْ لا يلبَسُ النُّورَ والقناديلَ
وأنتِ يا دمشقُ..
أَوْكَلَكِ اللهُ بصيانةِ مَجْدِ بنيكِ

أَزْمِنَتُكِ لم تَكُنْ عطشى
وكم ماسَ ضياءُ قامتِكِ على الدَّياجي
يا كَمْ نَثَرْتِ أغانيكِ المليئةَ بالأمطار
حُصُونُكِ بَناتُ المَواكِبِ المُنْتَسِبةِ إلى المجد
ترابُكِ ليس عجيناً
وقد عقَدَتْ موسيقا التاريخ
قِرانها على أناشيدِكِ
حيثُ لم تَطْلُبينَ مُهوراً من العاشقين
ليس عبثاً
أنَّ الحضاراتِ زَرَعَتْ أَزْمِنَتَها
شجراً راسخاً في ترابِ دمشق
الصُّدور مُتَّسِعةٌ
اكْتَشفوا الذاتَ الدافئةَ
لهذا البردِ المُؤَقت
فَصِّلوا مَنْطِقَكم على قَدِّ قاماتِكم
ارفُضوا كُلَّ ما لا يَليقُ
صوغوا جميعَ أسئلَتِكم
وارْمُوها في الوجوه
عَمِّدوا بالضوءِ المُمْكِنِ
الطُّرُقَ والأجرانَ والكآباتِ
لا تَقْديسَ لأيِّ تَعَبُّدٍ إذا كانَ وحشيّاً
نحنُ مقتنعون..
واقتنعي يا دمشق
أننا سَنَكفُرُ بالحياة
إذا لم نَبْقَ أبناءَكِ البارّين
لسنا مشغولينَ عَنْكِ
نحنُ ممتلؤون بكِ
لا انْكسارَ ولا زَيفَ
وستبقيْنَ الوردةَ الأكثرَ طيوباً
التي نُقَدِّمُها على أطباقِ الذهب